جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

العنوان:

الممارسات الفرنسية في الجزائر المستعمرة من خلال كتاب "الاستعمار الإبادة" لأوليفيي لوكور غرانميزون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

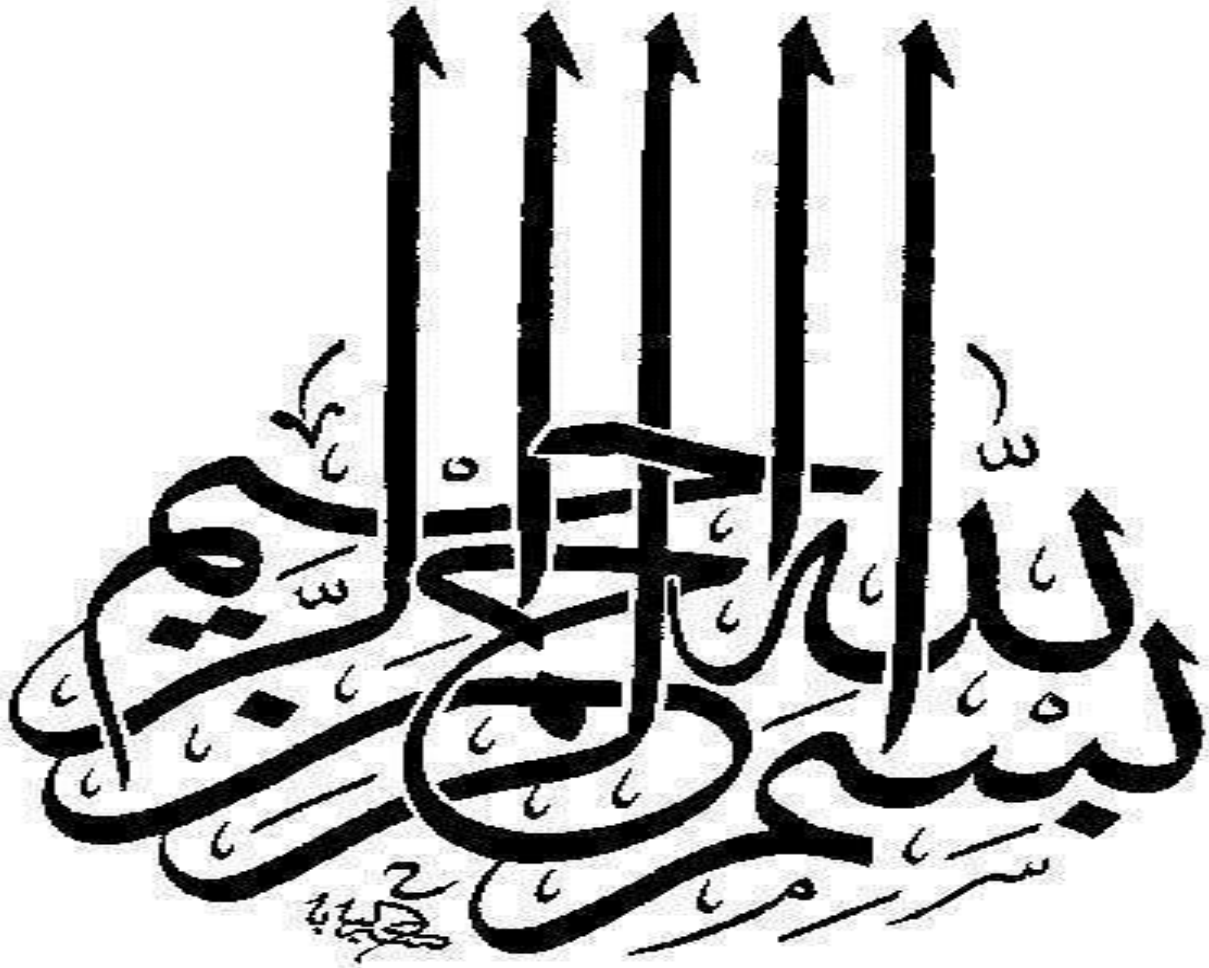
- سامية وحبيب
- دليلة العيداني

إشراف الأستاذ:

- كريم مقنوش

السنة الجامعية:

1437-1438 هـ/2016-2017 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

"الحمد لله الذي له ما في السموات و الأرض و له الحمد في الآخرة و هو الحكيم الخبير"

*و عملا بقول الرسول صلى الله عليه و سلم : من لم يشكر الناس لم يشكر الله " ،و اعترافا منا بالحق لأهل الحق أولا و قبل كل شيء نشكر الله العلي العظيم الذي وفقنا لإتمام هذا العمل .

*كما نتقدم بجزيل الشكر و أسمى عبارات التقدير و الإحترام إلى الأستاذ الفاضل "مقنوش كريم" لتفضله بالإشراف على هذه المذكرة و لبذله المخلص و صبره معنا جزاه الله خير الجزاء .

*و الشكر موصول إلى كل إطارات و أساتذة قسم العلوم الانسانية و جامعة الدكتور يحي فارس .

*نتوجه كذلك بالشكر الجزيل إلى الزميلتين الفاضلتين أمينة و فطيمة اللتان ساعدتانا في كتابة المذكرة جزاهما الله عنا كل خير .

*كما نشكر عمال مكتبة بلدية وزرة على مساعدتهم ،و عمال المتحف الجهوي للمجاهد بولاية المدية.

وأخيرا نشكر كل من شجعنا و ساعدنا على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

دليلة. **سامية.**

أهدي ثمرة جهدي :

إلى رمز المحبة و الحنان ،إلى أعز و أغلى من سكن الوجدان ،إلى التي كانت و مازالت منبع الحب و الأمان لك أمي الحبيبة "فريدة"أطال الله في عمرك و حفظك و برضاك أبلغ الجنان.

إلى قدوتي في هذه الحياة ،إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ،إلى سند حياتي و فخري ،إلى رمز القوة و العطاء ،إلى رمز التضحية و الوفاء ،إلى أبي الغالي "عبد القادر"حفظه الله و رعاه وأطال في عمره و أدامه الله تاجا فوق رأسي.

إلى والدتي الثانية الحنونة الغالية على قلبي "مريم" حفظها الله و أطال في عمرها وأدام لها الله الصحة و العافية .

إلى أعز ما أملك في الوجود إخوتي مراد ، ،ياسين وأخص بالذكر أختي الوحيدة سندي و مصدر ثقتي سمية.

إلى ابنة خالتي و صديقتي رميسة التي جمعتني بها مظلة الأخوة ووقفت إلى جانبي و قاسمتني حلو الحياة و مرها حفظها الله.

إلى أعمامي وعماتي و أبنائهم وأخص بالذكرفضيلة، خالد ،أميرة ،أنيس،شيماء، حفيظ .

إلى أخوالي و زوجاتهم و خالاتي وأزواجهن و أبنائهم عائشة، مروة، هديل، أنس، عقيلة، أمينة، هناء وخاصة الكتكوتة مرام .

إلى الأستاذ الفاضل شنيبات مصطفى أطال الله في عمره.

إلى جميع صديقاتي طيلة المشوار الدراسي من قريب أو من بعيد.

إلى من شاركتني في إنجاز هذا العمل "سامية" ،إلى زميلتي "أمينة" التي شاركتنا في كتابة المذكرة.

إلى كل من أعرفهم دون استثناء.

www.ensdz.com

اهدي ثمرة هذا العمل الى أعز الناس على قلبي أمي التي تعبت في انارة دربي فكان لها الفضل في دعمي و نجاحي أدام لها الله الصحة و العافية

الى أبي الذي تتلمذت على يده منذ الصغر فعلمني معني الحياة و الثقة و النجاح فكان لي المثل الأعلى أطال الله في عمره.

الى من تربعوا على قلبي إخوتي كمال إيمان أنس محمد .

الى عائلتي المستقبلية أمي و أبي و الى زوجي عبد الوهاب الذي كان سندا لي في مشواري الجامعي و رسم معي أهم نقاط مستقبلي

الى أختي التى لم تنجبها أمي هاجر و كل من صديقات أسماء نجاة فوزية لامية خديجة سمية فاطمة و خوخة و زهرة دليلة.

الى الاستاذ الذي اشرف علي عملي مقنوش كريم و الاستاذة حمصي لطيفة

الى كل من مد لى يد العون من قريب أو بعيد و خفف عني العناء

سامية

المقدمة

المقدمة:

استطاعت الجزائر بفضل موقعها الجغرافي المطل على البحر الأبيض المتوسط أن تكتسب مكانة و قيمة عالمية ، مما جعلها محل أطماع الدول الأوربية خاصة فرنسا التي اتخذت كل الذرائع و الأسباب لاحتلالها واستغلال خيراتها ،مبررة في ذلك تحضير المجتمع الجزائري ولكن على النقيض من ذلك فإنها جاءت بالدرجة الأولى لخدمة مصالحها ، و الهيمنة على الشعب الجزائري لتحطيم بنيته الاجتماعية و القضاء على قيمه الحضارية .

ارتبط التواجد الاستعماري في الجزائر بانتهاجه سياسة الأرض المحروقة من حرب إبادة جماعية و التي تمثلت في البطش ومصادرة الأراضي والنفي والتهجير، بشتى الطرق و الأساليب كالقتل و التعذيب و التي أدت الى تناقص عدد السكان ، و هذه الظاهرة تميزت بها الحركة الاستعمارية بصفة عامة و الاستعمار الفرنسي في الجزائر بصفة خاصة . و من العوامل الأساسية لهذه الظاهرة الاستعمارية هو البحث عن مراكز نفود جديدة خارج أوربا لتوسيع إقتصادها و تمكنها من نشر المسيحية في إطار حرب شاملة، فقد خضع الأهالي للإضطهاد و القمع و طمس المقومات الشخصية و القوانين الجائرة الخارقة للحريات الفردية و بهذه الأعمال الإجرامية انحازت فرنسا عن مسارها و مبادئها الحضارية التي تنادي بحقوق الانسان .

وقد عالجنا في هذه الدراسة الممارسات الفرنسية في الجزائر المستعمرة من خلال كتاب "الاستعمار الإبادة "لأوليفيي لوكور غرانميزون.

أسباب اختيار الموضوع :

لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لجملة من الأسباب الذاتية و الموضوعية منها :

-الميولات الشخصية التي دفعتنا للاهتمام بهذا الجانب دون غيره و الرغبة في التعرف و التطلع أكثر على تاريخ الجزائر و دراسته ،لأن ذلك يساعد على تقديم نظرة عن حقيقة احتلال الجزائر.

-الأهمية التي يكتسيها موضوع الممارسات الفرنسية في الجزائر من خلال الدراسات المعاصرة .

-المساهمة في إثراء المجهود العلمي و التاريخي لإماطة اللثام عن تاريخ الجرائم الفرنسية في الجزائر ، من خلال التركيز على بعض النماذج – الإبادات الجماعية و الفردية ضد الجزائريين – .

-رغبتنا في معرفة أساليب التعذيب الفرنسية التي تفنن جلادوها في ممارستها على الشعب الجزائري .

-الإبتعاد عما هو مألوف حيث أن أغلب الطلبة يتجهون إلى دراسة فترة الثورة التحريرية ،ففضلنا التوجه الى فترة بداية الاحتلال و المقاومة .

- أهمية كتاب "الاستعمار الإبادة " ، وذلك لكونه تطرق إلى الأحداث بالتفصيل و بموضوعية مستندا على الأرشيف، و هو ما جعلنا نحبذ معالجة موضوعنا من خلال هذا الكتاب.

الإشكالية :

يعتبر الاستعمار الفرنسي في الجزائر تجربة خاصة بأسلوب متميز في فرض الهيمنة الأوربية على الأقطار العربية و الإسلامية، و ذلك بسبب تناقضه مع التوجهات الأوربية و القيم الحضارية ، و عليه تقتضي دراستنا المتواضعة إبراز الممارسات الفرنسية في الجزائر بشتى أنواعها و من هنا فإن الإشكالية الرئيسية تمثلت فيما يلي :

فيما تمثلت أبعاد الممارسات السياسية و العسكرية التي قام بها المنظرون و العسكريون من أجل القضاء على روح المقاومة الجزائرية ، من تقتيل و تخريب ؟

وماهي أهم الوسائل التي استعملها الجش الفرنسي المتواجد في الجزائر ؟ و ما إنعكاسات تلك السياسة على الوضع الاجتماعي و الاقتصادي ؟

المنهج المتبع :

لقد اعتمدنا في دراستنا على :

- أولا :المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على عرض الوقائع و الأحداث التاريخية و وصفها.

- ثانيا :المنهج التاريخي النقدي من خلال تقييم أفكار المؤلف و تحليلها.

الخطة المعتمدة في الدراسة :

للإجابة على الإشكالية المطروحة إعتمدنا على خطة مكونة من مدخل تمهيدي و ثلاثة مباحث و خاتمة.

ففي المدخل التمهيدي تطرقنا إلى التعريف بالكتاب و تناولنا فيه ملخص للفصول لمعرفة حيثيات الكتاب كما حاولنا التعريف بالكاتب .

أما المبحث الأول الذي جاء بعنوان" **الفكر الاستعماري في السياسة الفرنسية في الجزائر** " تعرضنا فيه ، إلى الحديث عن أوضاع الجزائر عشية الاحتلال و عن أسباب و خلفيات الحملة الفرنسية إلى غاية توقيع معاهدة الاستسلام، و عالجنا الفكر الاستعماري لألكسي دو توكفيل .

و جاء المبحث الثاني بعنوان " **الممارسات السياسية و العسكرية بأساليبها** " الذي تحدثنا فيه عن التنظيم الإداري الذي مرت به الجزائر المستعمرة و أهم الممارسات العسكرية و أساليب فرنسا الإجرامية في حق الجزائريين ، و محاولة إثباتها من خلال ذكرنا لنماذج عن الإبادة الفردية و الجماعية بقيادة جنرالات سفاحين كبيجو ،سانت ارنو ، و بيليسيي فركزنا على مجزرة العوفية و أولاد رياح .

و أخيرا المبحث الثالث المعنون ب "**الممارسات الإقتصادية و الاجتماعية** " ، عرجنا فيه إلى أهم الممارسات الاقتصادية و الاجتماعية فأخذنا نماذج عن السياسة الاستيطانية باعتبارها عامل مشترك بين الممارسات الاقتصادية و الاجتماعية في نفس الفترة ، كما تحدثنا عن الممارسات الإقتصادية من خلال مصادرة الاراضي و تأثيرها على المجتمع الجزائري كالتهجير و النفي و التفقير .

و كخاتمة لعملنا حاولنا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات التي تخص موضوعنا المتمثل في **الممارسات الفرنسية في الجزائر المستعمرة** ،حاولنا كذلك تقييم حيثيات الموضوع من خلال كتاب "الاستعمار الابادة" **لأوليفيي لوكور غرانميزون** .

نقد المصادر:

دعّمنا دراستنا بمجموعة من المصادر و المراجع أهمها كتاب **الاستعمار الإبادة** "لأوليفيي لوكور غرانميزون " حاول دراسة الممارسات الاستعمارية الفرنسية سياسيا،عسكريا،إقتصاديا واجتماعيا ، بالإضافة إلى حمدان خوجة من خلال كتابه" **المرآة**" الذي يعتبر اهم مصدر عايش الفترة الاستعمارية- بداية الاحتلال- من حيث الموضوعية باعتباره من أعيان مدينة الجزائر،و لا يفوتنا أن نذكر بعض المراجع التي تخدم موضوعنا ومن بينها كتابات أبو القاسم سعد الله في أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، محاضرات في تاريخ الجزائر ،والحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول.

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية المترجمة و غير المترجمة ، إعتمدنا على مؤلفات "شارل روبير أجيرون" **تاريخ الجزائر المعاصرة** و كتاب **الجزائريون المسلمون و فرنسا** ، و كذا كتاب **تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو و بدايات الاحتلال"**شارل أندري جوليان" النسخة العربية و الفرنسية.

صعوبات الدراسة :

باعتبار أن أي دراسة لا تخلو من الصعوبات و العوائق ، فالصعوبات التي واجهتنا في دراستنا هي :

- أن المصادر التي اعتمدنا عليها باللغة العربية لم تكن كافية ، ذلك أن هناك مصادر باللغة الفرنسية و هو ما وضعنا أمام صعوبة اللغة و عدم تمكننا منها .

-قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة في موضوع الممارسات الفرنسية في الجزائر خلال الاحتلال .

- حاولنا التواصل مع المؤلف غرانميزون عبر شبكة التواصل الاجتماعي إلا أنه رفض إفادتنا بمعلومات حول شخصيته .

- ضيق الوقت الذي كان مقسما بين التنقل إلى المكتبات و التربص و إنجاز المذكرة .

مبحث تمهيدي

1.التعريف بالكاتب :

أوليفيي لوكور غرانميزون من مواليد 19 سبتمبر 1960 بباريس ، جامعي وباحث متخصص في فلسفة التاريخ و بصفة أخص في فلسفة تاريخ الاستعمار الفرنسي و أسس عنصرية الدولة الفرنسية ، يشتغل منصب أستاذ للعلوم السياسية و فلسفة التاريخ في جامعة إفري فال ديسون بفرنسا ,له العديد من المؤلفات حول الظاهرة الاستعمارية أهمها الاستعمار الإبادة .

كما أنه جمع بين حكمة الفيلسوف و براعة المؤرخ بالإضافة إلى كونه عرف كيف يأخذ بيد القارئ ،زار الجزائر سنة 2007 و ذلك بعد إعادة نشر كتابه الاستعمار الإبادة و زارها للمرة الثانية و كانت هذه الزيارة بدعوى من مركز البحوث التاريخية للحركة الوطنية و ثورة 1954.[1]

من بين أهم مؤلفاته المواطنات في ثورة 1789 -1794 (PUE1992 ،17اكتوبر 1961،جريمة دولة في باريس ،كتاب جماعي La Dispute،2001، الفلسفة و السياسة.[2]

2.التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب "**الاستعمار الإبادة[3] تأملات في الحرب و الدولة الاستعمارية**" لمؤلفه أوليفيي لوكور غرانميزون مرجعا أساسيا بالغ الأهمية لدراسة تاريخ الجزائر بداية الاحتلال خلال الفترة الممتدة من النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين .

---

[1] أوليفيي لوكور غرانميزون ، الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية ، تر مسعود حاج مسعود ، د ط، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،2009، ص ص 5-8 .

[2] اوليفيي لوكور غرانميزون الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب و الدولة الاستعمارية ،تر نورة بوزيدة ، د ط ،دار الرائد للكتاب الجزائر 2008،الغلاف الخارجي.

[3]**الإبادة** : هي جريمة تحصل بوسائل وطرق متعددة و تظهر في صور مختلفة : **الإبادة الجسدية** :تشتمل القتل الجماعات بالغازات السامة أو الإعدام الدفن و هم إحياء القصف بالطائرات تخلف ملايين الضحايا ،**الإبادة البيولوجية**: تتمثل في تعقيم الرجل و إجهاض النساء بوسائل مختلفة تهدف القضاء علي الجنس البشري، **الإبادة الثقافية**: لأسباب دينية أو سياسية أو اجتماعية ترتكب هذه الجريمة وتقوم علي تحريم التحدث باالغة الوطنية إلي جانب الإعتداء الصارخ علي الثقافة القومية. انظر، حسين نسمة ، المسؤولية الدولية الجنائية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون و القضاء الدوليين النائين ، إشراف حليلو فيصل، جامعة قسنطينة ، 2007/2006، ص ص82-83 .

1.2 –محتوى الكتاب :

يحتوى هذا الكتاب على عدة فصول مهمة جاءت في 423 صفحة ،مرقمة ترقيما تسلسليا قامت بترجمتها نورة بوزيدة إلى اللغة العربية لدار النشر الرائد للكتاب الجزائر، 2007، طبعة خاصة وزارة المجاهدين.ويعد مرجعا أساسيا للباحثين المهتمين بالتاريخ الاستعماري الفرنسي للجزائر 1830. Olivier le Cour Grandmaison ,Coloniser extermimer sur la guerre et L'état colonial .

جاء **الفصل الأول** تحت عنوان "**بخصوص العرب**"[1] تحدث فيه عن أوضاع الجزائر و العرب قبيل الاحتلال ، وصفهم بالقسوة و البربرية ،و ميلهم للنهب و السرقة و تميزهم بالكسل والخمول و اعتبارهم قطاع طرق، فقد لقب العرب بالحيوانات المفترسة ،و تميزهم بالشذوذ الجنسي والدعارة و غيرها من الصفات الدنيئة[2].

وأما **الفصل الثاني** فقد تحدث عن" **الحرب على العرب و حرب الأعراق** " و ذلك لمعرفة السبب الرئيسي للاحتلال الفرنسي للجزائر ،وما تعرض له الداي حسين[3] من إهانة على يد القنصل دوفال [4]كما أشار إلى أسباب أخرى جعلت فرنسا تقدم على احتلال الجزائر سنة1830[5]

---

[1] العرب : عروبة و عروبية أي تكلم العربية وهو كل من ليس من الترك و الفرس و الإفرنج . ***المنجد في اللغة العربية*** ص490.

[2] اوليفيي لوكور غرانميزون الاستعمار،المرجع السابق، ص ص33-117. للتفصيل أكثر أنظر ،عمار حمداني ،حقيقة غزو الجزائر ،تر لحسن زغدار ،منشورات ثالة ، الجزائر ،2007 .

[3] الداي حسين : آخر دايات الجزائر في العهد العثماني ولد في مدينة أزمير التركية 1773 ،كان قوي النفس لا يتزعزع لعظائم الأمور أما سيرته فقد كان لين الجانب و سهولة المجاب و عفو عن الجرائم و الصفح عن الزلات و الكف عن الدمار و المحارم و رفع الظلامات وتفقد أحوال الضعفاءكان تقيا محبا للصالحين كانت الجزائر ملكهم و دار سلطانهم فأتى عليهم ما أتى علي غيرهم. انظر، احمد توفيق المدني ،مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر (1168. 1246 هـ / 1754.1830 م ،دط ،الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر ،1974، ص 176 للمزيد انظر ،صالح عوض، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر ،د ط،الزيتون للإعلام و النشر ، الجزائر ،1989 .

[4] القنصل دوفال :ابن مترجم فرنسي كان يعمل في السفارة الفرنسية في اسطنبول وقد تولى جميع المهام القنصلية الفرنسية في آاسيا الصغري ،كان يتعلم اللغة العربية و التركية يمتاز بسياسة التعفن الاجتماعي و التوريط و خلف الوعد ,كان يعتبر هذه الوسيلة هي طريق النفاذ إلى الباشا انظر،أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1982 ، ص 22 .

[5]-غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ، ص ص 111-123.

وفي ذات السياق أشار المؤلف إلى موقف دوتوكفيل، الذي كان من أشد المعارضين لقضية خروج الجيش الفرنسي من الجزائر ، و ضرورة اللجوء إلى أساليب أخرى وذلك لبلوغ الأهداف المنشودة، فقد ذكر أوليفيي بعض الرجال الذين يميلون إلى سياسة الابادة. [1]

و في **الفصل الثالث** الذي عنونه ب "**في الحرب الاستعمارية** " ،ناقش أوليفيي في هذا العنصر أهم الأساليب التي لجأ إليها الاستعمار الفرنسي، كالتقتيل ، التمثيل بالجثث، تدمير المدن والقرى والإستيلاء على الأغنام و المزارع و المخازن ،فذكر أهم السفاحين الذين قاموا بارتكاب أهم الجرائم الجماعية و الفردية وذلك من أجل إخماد أي مقاومة من طرف الأهالي خاصة مقاومة الأمير عبد القادر [2] الذي وقف ضد الزحف الفرنسي في بداية الاحتلال ،مما جعل معظم السفاحين يقومون بأبشع الطرق للقضاء على المناطق المؤيدة للأمير عبد القادر.[3]

---

[1] نفسه ، ص ص 173-251

[2] ولد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى و بن السيدة فاطمة الزهراء يوم26 سبتمبر 1807 في قرية قسنطينة التي بناها جده تلقى دروسه الإبتدائية تحت إشراف والده فهو شريف النسب فتميز العصر الذي عاش فيه الأمير على مستوى السياسي بحالة الجزائر المنضمة ضمنيا للدولة العثمانية ،جمع بين القوة و الإرادة فالدفاع عن الإسلام وبين قوة التركيز و التفكير مما جعله مؤهلا لبدء المقاومة بصفة القيادة بحزم مظهرا قوة شخصية و عزيمة ،رغم صغر سنه استطاع تحمل المسؤولية والجهاد و استطاع تحقيق السلام وحماية السكان وهذا ما يفسر طبيعة تعامل الأمير مع فرنسا في إطار إحكام معاهدتي دي ميشال في 1834و التافنة 1836 ،فالأولى ضمنت للأمير وضعية الحاكم القوي مما مكنته من وضع اللبنات الأولى لدولته فضمنت احترام عادات الجزائريين وحرية عقيدتهم وسمحت بممارسة التجارة و اعترف الأمير بحق اقتناء السلام والحصول على العتاد من المراكز الفرنسية كما سمحت له بفك أسرى الكثير من المسلمين الذين كانوا محتجزين عند الفرنسيين فكانت بداية فعلية لتعزيز قوة الأمير العسكرية وتطوير عتاده الحربي و خاصة ما يتعلق بالبنادق و البارود ؛ أما الثانية فأكدت المكاسب السابقة والإستمرار في انتهاج الفرنسيين أسلوب الاحتلال المحدود فألحق التدمير بالجيش الفرنسي .انظر، ناصر الدين سعيدوني ،عصر الأمير عبد القادر الجزائري، د ط، مكتبة الإسكندرية ، 2000،ص ص208- 209 .

أنظر الملحق رقم (04) ص 84.

للتفصيل أكثر راجع ،برونو اتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط1 ،دار عطية للنشر و التوزيع، لبنان ،1997

[3] -غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ،ص ص 173-251.

تطرق أيضا إلى الجانب الديمغرافي الذي عرف تراجع كبير نتيجة المعارك والمجاعات ، الغارات، التدمير و انتشار الأوبئة بالإضافة إلى سياسة الإبادة الجماعية [1] التي اعتبرت من أبسط و أنجع الطرق و الوسائل لتنفيذ المخططات الاستعمارية [2]الفرنسية التي استطاعت من خلالها قتل الأبرياء من الأهالي و الوقوف في وجه المقاومة. [3]

أما **الفصل الرابع** الموسوم ب " **الدولة الاستعمارية حالة استثناء دائمة**" تطرق فيه المؤلف إلى طبيعة الحكم في إيالة الجزائر حيث كان يديرها رئيس له صلاحيات واسعة بقيادة القوات المسلحة و إدارة الشؤون الادارية كإصدار العقوبات ،كما تطرق إلى أهم القوانين التي أصدرتها فرنسا إلى جانب ذلك تحدث عن اللجنة الافريقية[4] و دورها في تحقيق السياسة الاستعمارية[5]

وفي الأخير تحدث عن "**الدولة الاستعمارية مقابل الدولة الاجتماعية** "،لايمكن الحديث عن الاستعمار دون الحديث عن المسألة الاجتماعية و الكثير ممن كتبوا عن قضية الاستعمار من 1830-1880، فقد تناولوا قضية الفقر المتقع الذي تفشى في البلاد ،فرأوا في المستعمرة حلا طبيعيا للحد من التوتر الاجتماعي والآفات الخطيرة التي تهدد كيان المجتمع الفرنسي ،ولقد أدى النزوح الريفي الكبير

---

[1] الإبادة الجماعية هي تدمير جماعة اثنية بحيث يكون هذا التدمير أو الإفناء بقتل كل أفراد هذه الجماعة إلى جانب التخطيط المنسق الهادف إلى تدمير المقومات السياسية للحياة الجماعية و ذلك بتفكيك مؤسساتها السياسة ،الاجتماعية ،الاقتصادية ، والثقافية حتى لغتها و شعورها القومي والديني.انظر، بوهردة معلوف ،الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان، مذكرة لنيل درجة ماجيستير القانون ،إشراف مباركي علي ،جامعة الجزائر، ،2012،ص20.

[2] . اذا اتبعنا ملامح السياسة الفرنسية منذ الأيام الأولى للاحتلال 1830إلى غاية خروجه فإننا نجدها قد سارت على أربع خطوط متوازية تلتقي كلها في نهاية نقطة واحدة هي المحو الكامل للشخصية الجزائرية حتى لاتقوم للجزائر قائمة في يوم من الأيام ،و يمكن إجمالها فيما يلي التفقير التجهيل الفرنسة و التنصير بالإضافة إلى سلب الأرض من الجزائريين و إرهاقهم بالضرائب و الغرامات ،أما عن التجهيل فقد قضت على معظم المدارس وضرب اللغة العربية و الحرص على فرنسة المجتمع الجزائري كما عملت على احتلال المساجد و تحويلها إلى كنائس .انظر،رابح تركي، ابن باديس و الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة ،العدد 2، مارس 1971، ص 66 .

[3] غرانميزون،الاستعمار، المرجع السابق، ص ص 173-251.

[4] اللجنة الافريقية هي لجنة فرنسية جاء بها البارون موبني الذي اقترح في 19فريل 1833تأسيس لجنة خاصة تتألف من شخصيات معروفة فقد دعمت فكرته من طرف باسي وانضم إليه سولت وزير الحربية حيث اقترح الفكرة على لويس فيليب فكانت اللجنة تنتقل إلى الجزائر و تجري تحقيقها كما كان للجزائريين دور بارز في تشكيل اللجنة منهم حمدان خوجة.انظر،مختار الطيب، اللجنة الافريقية 1833-1834، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوعزة بوضرساية،جامعة الجزائر، 2010/2009 ،ص69 .

[5] غرانميزون،الاستعمار، المرجع السابق، ص ص 253- 346.

والتدفق في المدن إلى ظهور عدد هائل من البطالة و الكسالى و المتشردين فهددوا كيان المجتمع و الحضارة، فكان احتلال الجزائر حلا للتخلص من هؤلاء البرابرة الجدد كالرجال و النساء الغارقين في الفقر و الكحول ،و إرسالهم إلى أراضي شاسعة و غنية، فكانت فرصة لا تعوض بالنسبة لفرنسا لتبعد عنها شبح الحرب الاستعمارية.[1]

2.2 –أهمية الكتاب:

يعبر كتاب الاستعمار الإبادة لصاحبه أوليفيي لوكور غرانميزون من أهم المراجع الفرنسية المؤرخة لتاريخ الجزائر، فقد ذكر أهم الممارسات السياسية الفرنسية في الجزائر المستعمرة مبينا لنا من خلال دراسته ما يلي:

1. نظرة الفرنسيين للعرب و اتهامهم بالتخلف و الكسل .
2. أعطى لنا أبعاد الممارسات التي اتبعها الجنرالات الفرنسيين من أجل إخماد نار المقاومة و إتباع أصعب السبل كالمجازر الجماعية و حرق المحاصيل فتحدث عن أصول و تقنيات القمع الجديدة .
3. توسع نطاق الاستعمار إلى الخارج كالهند الصينية و كاليدونيا.
4. تعرضه إلى ذكر الأسماء بالتواريخ.

3.2 –ملاحظات حول الكتاب :

اعتمد الكاتب على مجموعة من الوثائق الأرشيفية غير المعروفة أو القليل من يعرفها كما اعتمد على نصوص أدبية مثل :

1. بوري 1801-1842 قضايا إفريقية في الغزو المزدوج للجزائر بالحرب و الاستعمار, باريس, 1842 ،وهو عالم إقتصادي و اجتماعي اشتهر بكتابه "حرمان الطبقات الكادحة في الانجليز و فرنسا "نشره سنة 1840 و كفاءته الأكاديمية الأخلاق و العلوم السياسية .
2. غسيل 1832-1864 مقدمة لتاريخ الجزائر و مؤرخيها فهو أستاذ الأدب في كلية الأدب بالجزائر و عضو في المعهد كان مفتشا في الآثار القديمة و متاحف الجزائر و عضو في أكاديمية العلوم الاستعمارية و أستاذ في جامعة باريس

[1] نفسه ، ص ص 347-422.

4.2- أهم الدراسات السابقة للكتاب :

1. عشوي مصطفي قراءة نفسية لكتاب الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب الدولة الاستعمارية ، مجلة افكار و افاق، العدد الاول ، مارس 2011 .

المبحث الأول:

الفكر الاستعماري في السياسة الفرنسية في الجزائر.

1- أوضاع الجزائر عشية الاحتلال.

2- التعبئة للحملة .

3- الفكر الاستعماري لألكسي دو توكفيل.

لقد سعت فرنسا بمختلف وسائلها و ذرائعها لدخول الجزائر ،و ذلك بادعائها الرد على الجزائر و إهانتها لها ، و سجلت البوادر الأولى لهذه الأزمة منذ بدايات العشرينيات من القرن 19 م و توتر العلاقات بين البلدين بسبب تحرش القنصل دوفال ،و هذا ما ادى الى القطيعة بين الطرفين بمبادرة من فرنسا.

ففكرة إحتلال الجزائر كانت بدعم مفكرين فرنسيين و رجال سياسة باعتبارها إمتداد جغرافي إقتصادي و حتى ثقافي ، فقد كان هناك مجموعة من المفكرين الذين ينظرون إلى ما وراء البحر بنظرة إستعلائية منهم دوتوكفيل ، هذا الأخير الذي ألف رسائل لمساعدة فرنسا لإحكام قبضتها على الجزائر .

1.أوضاع الجزائر عشية الاحتلال :

1.1-الوضع السياسي:

لقد عرف العرب في القرن التاسع عشر بالخمول والكسل وبعدهم عن العمل، فهم شعب غير قادر على السمو إلى مستوى الحضارة ،وحسب ستيفن غاسيل أن السبب الحقيقي وراء هذا التخلف هو تمسك العربي بالعادات والتقاليد الجامدة التي تعود إلى العصور المظلمة ، وهو ما يفسر المكانة التي توصل إليها الأوربيين بالمقابل تخلف العربي في ترتيب سلم البشرية كونه عاش الجهل والبربرية .

فرق العلماء بين الشعوب فمنهم من يعمل على تطوير البيئة والإستفادة منها للوصول إلى سمو العقل الفكري والعلمي[1]، في حين توجد شعوب أخرى متخلفة تعمل على إقتناص ثروات البيئة وعرفوا بالترحال وعدم الإستقرار ولا التفكير في المستقبل، فمنهم من يقبل الإنطباع للعمل كالزنوج عكسهم الهنود الحمر التي تعرقل الاستعمار والإقتصاد .[2]

في حين نجد القنصل وليام شالر يقول عن العرب الجزائريين : "...المعلومات التي وصلت إلينا منذ العصور الغابرة تتهم سكان هذا البلد بعدم الإستقرار والخداع ، وهذا الإتهام قد يوجد ما يبرره في الوقت الحاضر ، ولكن هؤلاء السكان أبعد ما يكونون عن البربرية التي يتصف بها بعض الجزائريين

---

[1] صنف العرب في سلم الشعوب السفلي لان ذكاءهم اعتبر مجرد و لهم مهارة في الخداع و ليس لهم ذكاء يتحكم في الطبيعة او الابداع و الانتاج ،إنهم شعب للإقتناص و حب الملذات و مزارعين خائبين لأنهم كسالى و هم متهمون بأنهم خربوا منطقة معروفة بخصوبتها. انظر ،غرانميزون ، الاستعمار الابادة ،المرجع السابق ، 39 .

[2] نفسه ، ص ص 33-34.

فإن في سلوكهم لباقة ومجاملة وأنا لم أكتشف فيهم حتى أعراض التعصب الديني أو الكره للأشخاص الذين لايدينون بدين آخر غير دينهم".[1]

أما كوليج دي فرانس :"إن الإندماج إستحال و يستحيل لأن برنق الحضارة وضع فوق الموجود الأصلي دون ان يتغلغل في أعماقه ، فلم يؤثر منه الا قليلا و يرى أن سبب عدم خضوع الأهالي لمقتضيات الحياة العصرية هو كونهم مسجونين في التقاليد تغوص في غياهب حقب ما قبل التاريخ المظلم".[2]

في حين نجد موقف الأوربي أو ها بنسترايت الذي حاول دعم العرب بموقفه فشرح مايلي: ".... وهذه البلاد مملكة الجزائر تعرف عادة لدى الكتاب الأوربيين Barbarie أو البلاد المتوحشة ،وحسب دلالة هذه الكلمة فإنها تعني أنها مأهولة بأشخاص متوحشين وشرسين ،وهذا ما نعتبره منافيا للحقيقة إذ يجب أن ينصف القسم الأكبر من سكان هذه البلاد ،فهم أفراد يبتعدون عن التوحش ويقدرون الأجانب ولهم رغبة ملحة في التعاون معهم فلفظ المتبربرين أو البرابرة [3] يراد به سكان الصحراء أو مقتبسا من الإغريق أو الرومان الذين كانوا يطلقون على كل الشعوب التي لاتتكلم لغتهم هذه التسمية".[4]

القرصنة:

لقد اشتهر العرب بالقرصنة من خلال النهب والسرقة وقطع الطريق وهي كلها أمور تحسب على الإسلام بالإنحطاط الأخلاقي ،حيث نجدهم زرعوا الرعب في البحر الأبيض المتوسط من خلال إختطاف الأوربيين وتعرضهم للوحشية ويقول المؤرخ الفرنسي هنري غارو :"أن القرصنة الإسلامية الجهاد البحري المنظمة في البدء كدفاع مشروع للرد على الفرسان النصارى الذين ظلموا و كانوا

---

[1] وليام شالر ، مذكرات وليام شالر قنصل امريكا بالجزائر 1816-1824 ،تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، ص 80 .

[2] غرانميزون ، الاستعمار ،المرجع السابق ،ص 35.

[3] يعتر البرابرة من الجيل الآدمي كانوا يسكنون المغرب القديم وقد ملؤوا البسائط والجبال والتلال ،وكانوا يستعملون الحجارة والطين والشجر والشعر والوبر لبناء منازلهم ، وتمثلت مكاسبهم غالبا في الشاء والبقر والخيل وذلك للركوب واالنتاج. للمزيد انظر ، عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،ج 6 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،2000 ، ص 116.

[4] أو هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1734م) ، تر ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ، تونس ،ص 125.

يتصرفون تصرفات الحروب الصليبية ، فقد تحولت مملكة الجزائر الى مؤسسة دائمة و ربحها يصب في ميزانية الدولة ."[1]

" عكس الفرس و الاتراك الذين تمدنوا الى درجة معينة ،فإن العرب يحتقرون القوانين و يعيشون مثل التتار لا قانون لهم و لا حضارة و لا مجتمع تقريبا،هذا ما يقوله بوفون Buffon،الذي يضيف أن القنص و السرقة و النهب و قطع الطرق من الأمور التي يسمح بها أسيادهم."[2]

وبالعودة إلى الخلفية التاريخية للقرصنة من خلال مذكرات خير الدين بربروس،فيقول في كتابه :"... وعندما اقتحم العرب المسلمين هذا المجال لم يكن بحاجة لممارسة القرصنة إذ أنهم استطاعوا فرض سيطرتهم على البحر و لا ينازعهم فيها منازع ، وكانت الهجمات البحرية على سواحل القسم الشمالي من البحر الأبيض المتوسط تهدف الى تأمين الفتوحات الإسلامية فكانت ملتحمة بمفهوم الجهاد في سبيل الله".[3] كما يضيف قائلا:" ... وتطور مفهوم القرصنة عبر العصور الى نوعين متمايزين أولهما القرصنة القائمة على السلب والنهب والقرصنة التي تعتبر نوعا من الحروب البحرية الدفاعية وهدفها ضرب اقتصاديات العدو..."[4] أما حمدان خوجة فيقول : "...لقد نتجت فكرة تجهيز سفن القرصنة في الجزائر على الرغبة في الانتقام ..."[5] في حين يقول شالر "... والجزائريون الذين يقوم نظامهم السياسي على القرصنة يمنحون لأنفسهم حق إعلان الحرب على كل دولة مسيحية لا تشتري رضاهم بمعاهدة صلح ."[6]

---

[1] غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ،ص 71.

[2] نفسه ، ص40.

[3] خير الدين بربروس ، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج ،ط1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2010 ،ص 72.

[4] نفسه، ص173.

[5] حمدان خوجة ،المرآة ،تعريب و تقديم و تحقيق محمد العربي الزبيري ،منشوات ANEP،ص 79 حمدان خوجة ينتمي إلى أسرة عريقة ، عاش بمدينة الجزائر فاصبح احد أثرياء البلد كان من بين المثقفين الذين صدقوا ما عاهد به بورمون علي وثيقة الاستسلام، كان من بين الناقمين علي الوضع السائد قبيل الدخول الفرنسي . انظر صبرينة شبيرة ، حضر مدينة الجزائر و موقفهم من الاحتلال الفرنسي 1830-1848، إشراف ميسيوم بلقاسم ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر ،جامعة بسكرة، 2014/2013، ص ص 10-35 .

[6] شالر ، المصدر السابق ، ص 63.

و يقول شتلان: "إنهم دائما منغمسون في الرذيلة و الكسل و إنهم أعداء الصناعة و الزراعة و لا إمكانية لهم سوى السرقة...منذ ان وجدوا لم يأخذوا السلاح سوى للذبح..." . و بهذه النظرة يتبرر التدخل العسكري و تحرير الأسري الأوربيين الذين صاروا عبيد ، ولم يتوقف التنديد بالقرصنة التي رسمت لوحة سلوكية بغيضة لتوضيح موقفهم للوجود في الاراضي المستعمرة . [1]

لكن هناك حقائق كشفها إدوارد كاط"....وكان الهولنديون والإنكليز وأناس من جميع الدول أكثر شراهة و وحشية في قرصنتهم من الجزائريين، حيث أصبح البحر الأبيض المتوسط بؤرة لقطاع البحر،فبحكم الموقع الجغرافي وتعرضها إلى غارات متتالية أصبحت ذات سلطة ومسؤولية لضمان أمن السفن العابرة وبالتالي يستلزم فرض ضريبة على الدول التي تمر في البحر".[2]

لقد ازدهرت تجارة الرقيق والإستيلاء على البواخر التي تحمل البضائع، فالقرصنة انتشرت خلال الحروب الصليبية بصفة خاصة في الحوض الغربي من البحر المتوسط منذ سقوط غرناطة 1492 ضد المسيحين الإسبان ،الذين كانوا يلاحقون المسلمين الفارين من بطشهم حتى مدن المغرب العربي الساحلية ،التي لجأوا إليها وكان هذا دافعا للجزائر لكي تحمي المسلمين وتصد غارات المسيحين البحرية عليها وتحمي تجارة المسلمين ،وفي الحقيقة أن الجزائريين لم يكن هدفهم القيام بالقرصنة وإنما الجهاد والدفاع عن وطنهم.[3]

إتخذت فرنسا من القرصنة سببا لها لدخول الجزائر لتحقيق أمن واستقرار الشعوب ،التي كان هدفها سلب أملاك الآخرين بأبشع الطرق وتحرير الأسرى ،فيقول شتلان :" بأمر الملك لن تعود للجزائر وجود على وجه الأرض ..... فاليوم علينا أن نقوم بحرب إبادة ضدها ،لكن كل تلك الجهود لم تثمر الا في سنة 1830حيث قررت فرنسا الثأر لكل الإهانات المتكررة ،بأن استولت على وكر اللصوص و أول ما هم به جنرالات فرنسا هو التوجه الى السجن و تحرير العبيد المسيحيين الذين كانوا يقومون بالأشغال الشاقة".[4]

---

[1] غرانميزون ، الاستعمار الابادة ، المرجع السابق ،ص 44.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم ،شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ، ج1،ط1،دار البعث ،قسنطينة، 1985،ص-ص71-76 .

[3] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962،ط1،دار الغرب الإسلامي ،ص76 .

[4] غرانميزون، الاستعمار الابادة ، المرجع السابق ، ص 42.

في حين نجد شارل أندري جوليان يقول: "إذا كانت حياة الأسرى الأوربيين المستعملين في تجديف السفن تثير أكبر شفقة،فقد كانوا أسعد حظا من الأسرى البربر الذين كانوا مستعملين في تجديف سفن ملك فرنسا والذين يوشمون بالحديد المحمي ويمنعون من ممارسة الشعائر بينهم."[1]

أما سيمون بفايفر يذكر في مذاكرته :"... أما طعامنا لم يكن من النوع الذي يفرض علينا أو نشكوا من الجوع فقد كانت فضلات المطبخ كلها لنا .... وكنا ننام في مخزن واسع وكانت أفرشتنا بسيطة جدا أي أنها كانت عبارة عن ألواح فوقها جلود وأغطية خفيفة من الصوف.... وأن مخزننا وأفرشتنا لم تكن من النوع الرديء وكان في الإمكان المحافظة على نظافتنا، إلا أن الأمر للأسف لم يكن كذلك عن بعضنا فقد مال الرفاق إلى الفوضى وقلة النظام ."[2]

2.1- الوضع الاقتصادي

لا يفاجئنا أن الجزائر كانت غير منتجة بصفة شبه كلية ،بما ان السكان العرب لا يمتلكون تقريبا كل الأراضي القابلة للاستغلال ،فان الأهالي لا يعملون إلا عندما تدفعهم الحاجة،فبمجرد أن يكتفي يتوقف عن النشاط دون إكتراث للمستقبل ،فهذه الوضعية لا يعود سببها للأرض لأن هذه الأخيرة سخية ،لكن للرجال الذين لا يعرفون كيف يستغلونها.[3]

تعتبر الحبوب من أساسيات معيشة سكان الجزائر لذا اعتنى المجتمع بزراعتها ، فلا نجد منطقة من السهول والجبال،تخلو من زراعة الحبوب،كما انتشرت زراعة الأرز في الغرب الجزائري ،فقد قدرت الكمية بين5و6 ألاف قنطار خلال القرن18، كان الفلاح الجزائري ينتج أنواعا مختلفة من الخضر والفواكه التي انتشرت في الأجنة والبساتين .

أما بالنسبة لتربية الحيوانات فهي شائعة في الأرياف والمناطق الجبلية ،إلا أن عددها كان محدودا فلا نجد أسرة ريفية لا تملك عددا من الأغنام والأبقار والماعز والحمير والدواجن وخلايا النحل و رغم قلتها فإنها كانت مكملة لإنتاج الزراعي والحرفي [4].

---

[1] نايت بلقاسم، المرجع السابق ،ص .76

[2]سمون بفايفر ، الجزائر عشية الاحتلال ،ط1، دار هومة ،الجزائر ،1998 ،ص 19.

[3] غرانميزون ،الاستعمار ، المرجع السابق ، ص ص 215-217.

[4]أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف عمار بن خروف، 2006/2005، ص ص 215-217.

أما عن الحرف فتقول عائشة غطاس:"ويظهر أنه لم يطرأ على عدد الحرف خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تغير كبير،حيث تحكمت أسباب تقنية وأخرى اقتصادية واجتماعية في تطوير البيئة الحرفية،بل نشاهد تدهور بعض الصناعات مثل صناعة الشاشية ... كما تزايد عدد الجماعات الفرعية التي عنيت بالخدمات وليس من اليسير إجراء مقارنة بين البنية الحرفية بمدينة الجزائر ..."[1]

و يقول سبنسر:" أن مداخيل مهمة كهذه كانت بالنسبة لازدهار الجزائر في البحر الأبيض في المقام الأول من الأهمية ، وكانت تعتمد على قاعدة من الإنتاج الزراعي وقد صمم الحكم التركي ليس فقط للمحافظة على النظام الاقتصادي الذي كان موجودا ،ولكن لتقويته أكثر وعلى العكس من ذلك فإن الاحتلال الفرنسي وما يتبعه من التوارد الكبير للمهاجرين الأوربيين ،الذين لا أرض لهم وكذلك الحماية غير المستنيرة التي فرضها كانا أيضا مقدرين بدقة لتخريب النظام الأول "[2].

عرف الاقتصاد الجزائري خلال القرنين 16و 17 بالانتعاش، و هذا راجع الى القوة الاقتصادية الأندلسية و دورهم في تطوير الإنتاج الزراعي و الصناعي و حتى التجاري و على عكس ذلك فبعد النصف الثاني من القرن 17 م عرف تقهقر نتيجة للأوبئة و الطاعون و سنوات القحط التي تعرضت لها البلاد فأثر على جميع النواحي الاقتصادية ،كما لا ننسى التأخر في طرق و أساليب الزراعة و الركود التجاري جعلتها تتأخر عن مواكبة التطور الحاصل في الدول الأوربية. [3]

يقول أحمد توفيق المدني :" القطر الجزائري قطر فلاحي بحت حال الاستعمار بينه وبين التصنيع ،والفلاحة في قطر الجزائر لا تعتمد إلا على المطر ... فالاستعمار الفرنسي قد استحوذ على سائر الأرض الفلاحية الجيدة موشادا بها السدود أما الأراضي الفلاحية الفقيرة فقد بقيت في إهمال تام...". [4]

---

[1]عائشة غطاس ، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،ج1، اشراف مولاي بلحميسي ،2001/2000 ،ص 156.

[2]وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ،ص ص 135-136 .

[3]مؤيد محمود المشهداني م.م سلوان رشيد رمضان ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518-1830) ،مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ،م5 ،ع 16، 2013 ،ص421.

[4]أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،2001 ،ص ص19-20.

سيتم سلب الأراضي الصالحة للزراعة تحت مبدأ الاستيطان الرسمي الذي جاء على أنقاض الاستيطان السابق بإدخال فكرة الملكية الخاصة حيز التنفيذ وتسهيل الصفقات التجارية للعقار،وعلى إثرها وزعت أجود الأراضي خلال مرحلة 1781 -1882 و تم إنجاز 197 قرية استيطانية كانت تأوي ما يقارب ثلاثين ألف ساكن ،وبالموازات لعمليات التعمير فقد الفلاحون ما يقارب النصف مليون هكتار من أجود الأراضي التي كانت بحوزتهم الى نهاية 1870 .

وهكذا بعد مضي أربع سنوات من الإنتفاضة الريفية 1871 بلغ عدد المراكز الاستيطانية مئة وأربعة وأربعين مركزا" 144" وسبعين "70 "منها في الجهة الشرقية، أما الباقي فوزع على المنطقتين الوسطى والغربية [1].

كانت هذه السياسية البيولوجية مستندة على الرغبة في السيطرة علي الطبيعة و تسعى إلى توزيع الأعراق حسب الأهداف الإنتاجية،و عليه فإن هذه الممارسة تستعمل مع الجزائريين بالرغم من إلغاء الرق و ذلك من أجل الإسراع في عملية الإستيطان ،و بصفة أدق أنها حرب عرقية عنصرية بوسائل أخري ستنتهي بتغيير الخارطة البشرية .[2]

3.1-الوضع الاجتماعي :

العربي هو الكائن الخنوع لشهواته المتأججة بسبب الحرارة وهو يتزوج من عدة نساء مما يمنع رجال آخرين من التزوج و هو م يدفعهم إلى اللواط، أما النساء القابعات في سجن لا فرار منه فإنهن مضطرات إلى ممارسة الجنس مع بعضهن البعض[3].

و في هذا السياق يقول شالر: " أنه لايوجد عدد صغير من الجزائريين الذين يستفيدون من ترخيص الإسلام لهم بالتزوج بعدد من النساء ، فإن القاعدة العامة هي أن الرجل يكتفي بإمرأة واحدة يحلق بها الإماء بمختلف مركز الرجل الاجتماعي وثروته ".

---

[1] عثمان فكار، الإستيطان العمراني في الريف الجزائري مقاربة سوسيو تاريخية ،مجلة جامعة دمشق ، المجلد 29 ،العدد3+4 ،2013 ،ص 541.

[2] غرانميزون، الاستعمار الابادة ، المرجع السابق ص 72 . فسهل متيجة الخصب و المعتدل سيخصص للأوربيين الذين سيطروا فيها على الزراعة ،أما الواحات الجنوبية فتخصص للسود الذين سيكونون القوة البدوية ،أما العرب المصادرين أو المطرودين فعليهم الإكتفاء بالصحراء لأنها هي التي تليق بمزاجهم .انظر ،غرانميزون ،الاستعمار الابادة، المرجع السابق، ص 72 .

[3] نفسه ،ص74.

والقاعدة المتبعة في عقد الزواج هي نفس التي يسير عليها المسلمون في نفس المكان،ولكن طبائع و أوضاع الطبقات الراقية التي ظهرت في ظل هذه الحكومة قد أدت إلى ثورة في صالح المرأة،فهل من المنطلق الافتراضي أن وارثه لثورة كبيرة تسلم كما تسلم الإمام لنزوة أي بربري يقبل على الزواج منها؟[1]

في هذا الصدد يقول سنونبغ "أنه تستيقظ الغريزة الجنسية عند الجزائريين في وقت مبكر فيقبلون على إشباعها في وقت مبكر،فيكثر اللواط وتشيع الممارسات الجنسية في المدارس وليس من النادر أن تحمل فتاة مابين العاشرة والحادي عشر،أي لايحرم على تركي أن يتخذ إلى جانب زوجته عشيقة أو عدد من العشيقات بدفعه لهن مبلغ من المال". [2]

رجالهم كما نساءهم يهددون الأخلاق والأسرة العامة لأنهم يحملون كما يحمل مرض مزمن، و المعروف عنهم أن ممارستهم الفاسدة تؤدي الي تفشي الأمراض الجنسية و تحطيم صحة السكان فهم شعب مستقبله في خطر، إن كل هذه الممارسات تغذي بعضها البعض فتعدد الزوجات يدفع إلى اللواط ، فقد تحدث مونيسكيو كثيرا عن تعدد الزوجات فيقول إنها من عادات العرب و الأتراك و يعتقد أن تعدد الزوجات يؤدي الي العلاقات الشاذة.[3]

فإذا أراد شاب أن يتزوج فإنه لا يستطيع أبدا أن يقيم علاقة شخصية مع فتاة ، حيث يسمع أن هذا الرجل أو تلك الفتاة في سن الزواج يرسل يهودية إلى بيتها،فإذا كانت تريده فإنه يتوجه إلى أبيها ويتفق معه على المهر الذي يريد أن يقدمه للفتاة ويقدمه لأبيها وفي يوم محدد يذهب الأب مع ابنته والعريس إلى القاضي. [4]

إن الأصل في الإسلام الزواج بواحدة لكن الإسلام أباح مع ذلك لمن يستطيع أن يجمع في أسرته أكثر من زوجة أي تعدد الزوجات ،فيما أنه تم إباحته من طرف الدين فإنه المجتمع المشرقي والمغربي لم تخلو منه حتى عصرنا الحديث. [5]

---

[1] شالر، المصدر السابق ، ص86.

[2] أ-ف سنونبغ ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال ، تر أبو العيد دودو ، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر ،2005،ص35.

[3] غرانميزون ،الاستعمار، المرجع السابق ، ص 74-75

[4] فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 ، أبو العيد دودو ،ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1980، ص103 .

[5] نفسه ،ص 103.

قال تعالى ((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا)) .[1]

قام دو توكفيل بزيارة إلى الجزائر 1842 عندما أراد التعرف على طبائع الأهالي،فقد سأل النقيب سان سوفور عن مدى تفشي ظاهرة تعدد الزوجات ،فكانت الإجابة "الكثير من الرجال متزوجين من أربع نساء كما هو مسموح لهم ،و يضيف أن العديد من الرجال لا يملكون نساء."[2]

وإذا أتينا إلى البحث في الأسباب التي تدفع الرجل إلى تعدد الزوجات الإنجاب لأنه الأساس الذي تقوم عليه الأسرة :

-الثروة أي الأغنياء وأصحاب الثروات الكبيرة .

-التكافل بين الأفراد والأسرة كزوج الأخ بعد وفاة أخيه من زوجته لتكفله بالأولاد.

ولما جاء الإسلام أقر التسري ولكنه نظمه وفق قواعد شرعية محكمة في حدودها كما هو حال الزواج تماما،والخروج عن تلك الأحكام تجعل التسري حراما والجارية فيه تقترب في منزلتها من منزلة المرأة الحرة في الزواج.[3]

لقد حاول الفرنسيون التشهير بالوضع الذي كانت تعيش فيه الجزائر والتفريق بين العرب والأمازيغ ، فلما جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية ولبسط السيادة فلا فرق بين العرب الفاتحين والأمازيغ أبناء الوطن الأصليين،فقد دخلوا في الإسلام وتعلموا لغة الإسلام والعربية فقد وجدوا التقدم في الحياة وامتزجوا بالعرب بالمصاهرة كما اتخذوا في الأدب واللغة فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متخذا غاية الإتحاد وممتزجا غاية الإمتزاج.[4]

ورغم محاولة التمييز للفصل بين العرب والأمازيغ، إلا أنه تعدد التشهير إلى الوضع الصحي السائد قبل الاحتلال وتقديم تقارير تتضمن ملاحظات تجمع على أن مدينة الجزائر التي كانت غير متوفرة،حيث تراكمت الأوساخ والقاذورات في الشوارع والأماكن العمومية كما كانت المياه غير صالحة

---

[1] القرآن الكريم ، سورة النساء ،الآية 3.

[2] غرامبزون الاستعمار الابادة ، المرجع السابق ،ص75

[3] خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ، إشراف فاطمة الزهراء قشي ،2006، ص ص 435 -440.
انظر الملحق رقم (02) ،ص 82.

[4] عبد الحميد ابن باديس ، مجلة الشهاب ، ج10-13 ،ص 510.

للشرب في أغلب المناطق ،كما أكدت التقارير على إنعدام المرافق الصحية المتمثلة خاصة في المستشفيات أو المحاجر الصحية[1].

بعد التعرف على بعض أوضاع الجزائر قبيل الاحتلال من المنظور العربي و الغربي الذي اتخذته فرنسا مبررا لها لدخول الجزائر ،ففرنسا أدانت العرب و الزائرين و اتهمتهم بالتخلف و اعتبرت نفسها موطن التحضر و أتت إلى الجزائر لنشر الحضارة و مواكبة التطور الحاصل في فرنسا ،لابد لنا من التطرق في المبحث الموالي إلى أسباب و دوافع الحملة الفرنسية و أهم ممارساتها في حق الجزائريين .

[1] فلة موساوي القشاعي ، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني أوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871 ،وزارة الثقافة ،الجزائر، 2013 ، ص ص 171-173 .

2.التعبئة للحملة :

1.2–العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل 1830:

لقد عاشت فرنسا في 1793في ضائقة اقتصادية شديدة بسبب الحصار المفروض عليها من الحلفاء (بريطانيا)، فقد استنجدت بالجزائر وتوسط القنصل فاليار لإمدادها ماديا وقرضها مبلغ 250000 فرنكا ثم بمليون آخر 1796 .

فتح نابوليون 1798مالطا و أطلق صراح الأسرى الجزائريين وأقامت الجزائر مع فرنسا علاقات دبلوماسية كما كانت قبل ،ولم تمض 3سنوات حتى أصاب الخزينة الفرنسية خلل فاستنجدت بالجزائر بإعارتها مليون فرنك بدون فائض لمدة سنتين،فلم يسدد المبلغ الذي حصلت عليه فرنسا فعمدت إلى استكماله بواسطة شركة بوشناق و بوخريص اليهودية بالجزائر وقرضتها بالحبوب أيضا ليرتفع مبلغ الديون الى 7 ملايين فرنك .[1]

توفي لويس 18 وعوضه أخوه شارل العاشر 1824–1830 حيث عرف باستبداده ومع ذلك عرفت فترة حكمه بالمرحلة الجيدة لإعلانه الولاء لتنظيم الدستورية البرلمانية وإرضاء الفرنسيين، فقد تم تعيين لولينياك رئيسا لمجلس الوزراء سنة 1830،ففي فترة حكمه تقرر إرسال حملة لغزو الجزائر سنة 1830.[2]

2.2–مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر، بوتان Boutin نموذجا:

لقد كانت لفرنسا نية مسبقة في احتلال الجزائر من خلال مجموعة من المشاريع التي قامت بها فرنسا لاكتشاف الجزائر وأسرارها .

مشروع بوتان [3] :

طلب نابليون من الوزير إرسال أحد الجنود الذين يمتازون بالروح العسكرية وبالمهارة الهندسية إلى الجزائر ليتجسس ويعود بتقارير مفصلة.

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، د ط ، دار الامة ، الجزائر، 2010، ص ص 278–280.

[2] ميلاد المقرحي ، تاريخ اوربا الحديث 1453–1848 ، ط1، دار الكتاب الوطنية ، بنغازي ، 1996، ص ص 365–368.

[3] هو من أهم المشاريع الفرنسية و قد سماه بالاستعمار و له دلالة كافية لما يبغي من وراءه اعتمدته و زارة الحربية ، و الذي تم الاستعانة به في غزو الجزائر 1830يحمل معلومات جغرافية عن الجزائر و التحصينات و المراكز الدفاعية الثلاث عشرو وضع مخطط لها و عن القوة العسكرية و البحرية و الاقتصادية .انظر ،مختار الطيب، اللجنة الافريقية 1833–1834 ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ المعاصر و المقاومة الوطنية و الثورة التحريرية ،إشراف بوضرساية بوعزة،جامعة الجزائر،ص 15 .

وصل بوتان[1] إلى الجزائر 1808 ووضع تقريرا مفصلا حول الجزائر عن الحصون لدراسة خطة النزول الفرنسي والغزو بدقة،فقد تضمن التقرير معلومات على تحصينات الجزائر وطبيعة أراضيها وعدد قواتها وزمن الحملة وعدد الجيش ومكان النزول أي سيدي فرج وان هذه الحملة لا تتجاوز شهرا .

3.2–خلفيات الاحتلال :

1. الديون :

اتفقت فرنسا مع الجزائر 1819 أن تدفع لها ما بذمتها من ديون و البالغة 7ملايين ونصف فرنك ،وتوقفت عن دفع الباقي بحجة أن تجار مارسيليا لهم بذمة تجارة الجزائر مبلغ مليون ونصف فرنك، فغضب حسين باشا لتوقف الحكومة الفرنسية عن الدفع فطلب ان تسدد له الحكومة جميع الديون فأحالت فرنسا هذه القضية إلى مجلس التجارة في باريس ،لكن الداي طلب إحالة القضية إلى مجلس التجارة في الجزائر فاستحكم الصراع بين الحكومتين.[2]

2.الأسباب المباشرة :

لقد جرى حوار بين الداي حسين و القنصل دوفال يوم 29 أفريل 1827،و الذي كان موضوعه يتمحور حول شكوى الداي حسين فيما يخص عدم الرد على رسائله بخصوص الديون ،و في هذا الصدد أكد الداي أنه تحدث الى القنصل بكلام مهذب،غير أن القنصل رد عليه بعناد و تجرأ على إضافة كلمات مهينة للديانة الإسلامية و تمس بشرف جلالته .[3]

و ما زاد من حدة الأمور هو إستمرار القنصل في إصدار الكلام السيء رغم محاولة الداي إلزامه بالسكوت ،غير أنه واصل توجيه الكلام إلى الداي هو ماجعل الداي يأمره بالخروج وأمام رفضه قام الداي بالإشارة عليه بمنشته . كما أشار الكاتب نفسه الى الرواية الرسمية لديوان القنصلية الفرنسية و التي تشير إلى أنه في 29أفريل 1827تقدم القنصل دوفال لمقابلة الداي وذلك لتهنئته فسأله الداي

---

[1] بوتان :وصل إلى الجزائر في 24 ماي 1808 على ظهر سفينة تسمى لوروكان و ظل في الجزائر لوضع خطة نزول القوات الفرنسية متنقلا بذلك من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج غربا ،و بعد الإنتهاء من كتابة ملاحظاته و رسم خطته عاد في 17 جويلية 1808 ،غير أن القوات الانجليزية ألقت عليه القبض لكنه بقي محتفظا بتلك الملاحظات التي سوف يرسم عليها خطته.انظر ، سعد الله ،محاضرات ، المرجع السابق،ص2.

[2] مسعود مجاهد ،تاريخ الجزائر ،ج1، د ط ،1971 ،ص ص 107 – 108.

[3] شارل اندري جوليان ،تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو و بدايات الاستعمار 1827-1871 ،تر جمال فاطمي ، المجلد 1 ،ط 1 ، دار الامة ، 2008 ، ص ص 53 – 54.

عن قضية تلقيه جوابا على الرسالة ،فأجابه القنصل بأنه لم يتلق أي جواب بعد وعلى إثر تلك الإجابة قام الداي بضربه عدة مرات بمنشته وأمره بالخروج[1].

و حسب المؤرخ يحي بوعزيز فإن الاستعمار الفرنسي للجزائر لاتتمثل أسبابه في المسألة الشهيرة المعروفة بحادثة المروحة ، وإنما أسبابه كانت اقتصادية محضة ، إذ أن ثروة الجزائر خصوبة أراضيها كان أمرا معروفا لدى فرنسا وكذا مسألة الديون التي كانت بين الجزائر وفرنسا.[2]

3.الأسباب غير المباشرة :

لقد كانت فرنسا تسعى لاحتلال الجزائر وجعلها مستعمرة نموذجية وذلك لإنشاء إمبراطورية فرنسية فيما وراء البحر الأبيض المتوسط ،بالإضافة الى رغبتها في استغلال مواردها الطبيعية والبشرية والإستفادة منها واستخدام الأهمية التجارية الجزائرية لصالح الاقتصاد الفرنسي ، وكذا سعي فرنسا للبحث عن مواد أولية وأسواق لتصريف فائض الإنتاج الصناعي،ونظرا للعلاقات التجارية التي كانت بين فرنسا والجزائر ازدادت الأطماع الفرنسية بالجزائر أكثر من الدول الأوربية الأخرى، بالإضافة إلى رغبة فرنسا وحرصها على إيجاد كل السبل للإنفراد بالجزائر وتعويض ما فقدته من مستعمرات .

ولذلك بدت لنا أهمية الجزائر الطبيعية و الاقتصادية بالنسبة للأطماع الأوربية ، وخاصة علم هذه الدول لاسيما فرنسا بالضعف الذي آلت اليه الجزائر ،وبغض النظر عن الأطماع الاقتصادية كانت لفرنسا أسس وغايات دينية تعكس نية الصليبية و امتداد النزاع المسيحي الإسلامي في البحر المتوسط.[3]

في حين أنه هناك من يرى أن حصول فرنسا على هيبتها الدولية سببا من أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر ، إضافة إلى ذلك تحطم الأسطول الجزائري في معركة نافرين 1827 وكذا إرتفاع ديون فرنسا الى 22 مليون فرنك ،وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية وهوما جعل فرنسا تحرص على احتلال الجزائر،وذلك لتوفر لنفسها موطنا لتصريف الفائض السكاني وتحصلها على اليد العاملة الرخيصة وتسويق منتوجاتها الصناعية.

---

[1] محمود باشا محمد ، ذريعة المروحة-1827- او الإستيلاء على إيالة الجزائر ،تر عزيز نعمان ،دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ،2010 ،ص ص 61 -65

[2] يحي بوعزيز ، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من1830-1954 ويليه السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري1830-1954 ،دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009 ،ص 75.

[3] كريمة حرشوش ،جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الامير عبد القادر في الجزائر من خلال ادبياتهم 1832-1847 ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف صم منور ،جامعة وهران ،ص ص 17-18.

بالإضافة الى الأسباب السابقة الذكر نضيف سبب آخر والذي يمتثل في الموقع الإستراتيجي الهام الذي تتربع عليه الجزائر من تضاريس ومناخ ، فهي تعد قلب المغرب العربي وإمتداد حضاري بمشتركات وخصائص مع العالم الإسلامي ،وتعد بوابة إفريقيا ونافذة كبيرة تطل على البحر المتوسط تتربع على أراضي ممتدة من البحر الى الصحراء وكذا توفرها على شريط ساحلي يمتد من الحدود المغربية إلى الحدود التونسية.[1]

4.2-الحملة الفرنسية 1830 :

وقف شارل العاشر ملك فرنسا يقول في خطاب العرش يوم 2 مارس1830 "أن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء " .

فقد هيأ اسطولا ضخما شمل 103 من السفن تحمل ثلاثة آلاف مدفع و 34000 مقاتل مع 383 سفينة لنقل المؤونة و الذخيرة و عزم على اتخاذ قاعدة أعمال ضد الدولة الجزائرية ،شبه جزيرة سيدي فرج على نحو 20 كيلو متر غربي الجزائر حسب خطة بوتان،نزل الجنود الفرنسيين يوم 13 جوان 1830 فقد قام الجنود الجزائريين بالهجوم في معركة حاسمة يوم 19 و كانوا قادرين على زعزعة الفرنسيين لولا اعتزاز الجزائريين و اغتنام فرنسا الفرصة لإطاحة صفوف الجزائريين .[2]

يقول احمد باي في مذكراته :" سنة 1830 ذهبت إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش ...و كنت باي قسنطينة منذ 4 أعوام و كانت تلك هي المرة الثانية التي أقوم بهذا الواجب، فلم أكن إذن مستعدا أي استعداد لمحاربة الفرنسيين ،و مع ذلك كان الداي حسين قد أخبرني بمشاريعهم في رسالة ذكر لي أن اهتم بعنابة فقط ، و لم يكن قلقا لا على نفسه و لا على المدينة الرئيسية و هكذا ذهبت كالعادة و معي أربعمائة فارس أو أقل ".[3]

كانت نتيجة الهزيمة أن اضطرت مدينة الجزائر للاستسلام فدخلها جنود فرنسيين صبيحة يوم 5 جويلية 1830 ،و كان يوما أسودا في التاريخ الجزائري ،و لم يحترم الفرنسيين عهدهم باحترام الأشخاص و الحريات فبدأوا ينهبون و يسلبون و ينهكون الحرمات و يختلسون البيوت ، فقد سجلت على فرنسا صفحة عار لا تمحى أبد الدهر.[4]

---

[1] نفسه ، ص ص 18-19.

[2] توفيق المدني، هذه هي الجزائر،المرجع السابق، ص ص78-80 .

[3] احمد باي ، مذكرات احمد باي ، د ط ، د ت ، ص 11،

[4] المدني، ، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص 80.

و في نفس الليلة اجتمع عدد من أعيان الجزائر و تمثل هؤلاء الأعيان في التجار و أصحاب الأموال فاتضح لهم ان خسران مدينة الجزائر شيء محتم لا مفر منه و أن الفرنسيون قد استولوا على الجزائر بالقوة، فإن لا يكفون عن السلب و النهب و قتل جميع السكان بما فيهم النساء و الصبيان دون مقاومة فمن الأحسن أن تسلم البلاد بشروط فعقدها مع قائد الجيش الفرنسي. [1]

كانت فرنسا بعد دخولها إلى الجزائر بحاجة ماسة إلى منظريين سياسيين يعملون على التنظير للفكر الاستعماري في الجزائر المستعمرة و ذلك لتحقيق الممارسات على أكمل وجه و دون أي معانات ، و من بين المنظرين الذين جاءت بهم فرنسا نذكر ألكسي دو توكفيل الذي عمل كل ما بوسعه للتنظير للقضية الجزائرية و ذلك من خلال ما كتبه من تقارير عن الجزائر .

[1] حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص 169.

3.الفكر الاستعماري لألكسي دو توكفيل :

لقد أشار المؤلف غرانميزون في كتابه إلى بعض العبارات التي صرح بها دو توكفيل De Toqueville[1] إذ أنه صرح قائلا :" إن المصلحة العليا لفرنسا في العالم اليوم تكمن بالتأكيد في السيطرة على الجزائر بدون عنف و في التعجيل باستعمارها ،و إن هذه لمصلحة عظيمة في حد ذاتها و كذلك في علاقتها مع بقية مصالحنا الأخرى ، و يتعلق الأمر هنا بمسألة تفوقنا على الصعيد الأوربي ،و بتحقيق توازن ميزانيتنا و بتيسير سبل المعيشة لقسم من مجتمعنا و بالحفاظ على شرفنا الوطني ".و في هذا المقام نوه غرانميزون بأن هذه التصريحات تدل على أن دو توكفيل كان من المؤيدين لفكرة الغزو العسكري للجزائر منذ سنة 1828 ،ثم أيد فكرة السيطرة الكلية عليها.[2]

[1] هو ألكسي شارل هنري دو توكفيل ،ولد في باريس 29 جويلية 1805 و قد شهدت فرنسا قبل ميلاده باثني عشر سنة ما يعرف "بعهد الإرهاب" ،كان له اخوين اثنين ادوارد و إيبوليت و كونه كان الإبن الأصغر في العائلة و كذا كان ذو صحة متوعكة فقد أولته عائلته إهتماما خاصا .كان ألكسي دو توكفيل من الصبيان الأذكياءالذين يقرأون كتبا ذا مستوى عالي تفوق أعمارهم ،كما أنه حصل على العديد من الجوائز و ذلك أثناء دراسته ،تلقى تعليمه على يد الأب لسيور هذا الأخير الذي عمل من قبل مدرسا لوالد ألكسي دو توكفيل ،و اتخذ دو توكفيل الأفكار الخاصة ب الدين من الأب ليسيور و كذلك من والدته. (انظر) ،جوزيف ابستاين ،ألكسي دو توكفيل المرشد إلى الديمقراطية ،ترجمة سمية ممدوح عادل ،ط 1،القاهرة ، 2010،ص ص 12–17. و حينما بلغ سن السادسة عشر أرسله والده إلى الجامعة و ذلك لدراسة البلاغة و الفلسفة و بعدها إلى باريس لدراسة القانون .(انظر) ،هارفي سي مانسفيلد ،توكفيل مقدمة قصيرة جدا ، تر مصطفى محمد فؤاد ، ط1 ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ، 2012 ،ص 20. عمل دو توكفيل قاضيا في محكمة فرساي 1828 ثم انتخب عام 1839 عضوا في الجمعية الوطنية الفرنسية إلى غاية 1849 ،و التي أصبح نائبا لرئيسها فيما بعد ثم و زيرا للخارجية الفرنسية .(انظر) ،حجيلة الوالي و مريم مشيخ،الفكر الاستعماري الفرنسي في الجزائر و شخصية ألكسي دو توكفيل أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف كريم مقنوش ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم العلوم الانسانية جامعة المدية ، 2016/2015 ، ص 69.كما إن هذا الاخير كان عضوا في اللجنة البرلمانية المكلفة بدراسة مشروع قانون يتعلق باستعمار الجزائر(انظر) غرانميزون ، الاستعمار ،المرجع السابق ، ص 7.توفي سنة 1859 اثر مرض العضال. (انظر)،حجيلة الوالي ، المرجع السابق ،ص69

[2] غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ،ص ص 5 – 6 .

1.3- إنجازاته:

قام ألكسي دوتوكفيل برحلة إلى أمريكا و التي استمرت لمدة تسعة أشهر و قد اصطحب معه صديقه "جوستاف دي بورمون" ،و كان الهدف من هذه الرحلة هو التعرف على مواصفات الجمهورية العظيمة، كما أنهما كانا يحملان فكرة أخرى و هي تأليف كتاب عن إصلاح نظام السجون في أمريكا ،حيث أنهما ألفا كتاب "عن نظام العقوبات في الولايات المتحدة و تطبيقه في فرنسا"، و كتب ألكسي دوتوكفيل كتابا آخر بعنوان " أسبوعان في البرية" ،و الذي تطرق من خلاله إلى وصف الطبيعة الهادئة و كذا مقارنته بين الأمريكيين من جهة و الإنجليز و الفرنسيين من جهة أخرى، بالإضافة إلى كتاب آخر و المعنون بـ"رحلة إلى أمريكا" هذا الأخير الذي حوى يوميات كل من ألكسي و بومون.[1]

[1] مانسفيلد، المرجع السابق، ص-ص 21-22.

-بالإضافة إلى المؤلفات السابقة قام دوتوكفيل بتأليف كتاب آخر و هو أهم من المؤلفات السابقة الموسوم بـ "الديمقراطية في امريكا" اشار دوتوكفيل في الجزء الأول منه إلى مميزات و عيوب أمريكا حيث أنه حقق نجاحا باهرا، بينما الجزء الثاني من هذا الكتاب فقد تطرق فيه دوتوكفيل إلى مستقبل الديمقراطية غير أنه لم يحض بالقدر المناسب من الترحيب. لم تكن أمريكا هي المقصد الوحيد الذي اتجه إليه دوتوكفيل و إنما سافر إلى عدة دول أخرى منها صقلية و ذلك سنة 1827 و تعد هذه الرحلة نتاج كتابه الأول، كما أنه سافر إلى انجلترا كذلك عام 1833 ثم إلى انجلترا و ايرلندا سنة 1835 و ذلك من أجل رصد تطور الديمقراطية في أكثر الدول ليبرالية في أوربا، و كذا رغبته في دراسة الفارق بين الأرستقراطية الإنجليزية و الأرستقراطية الفرنسية. و بغض النظر عن الكتب فإن توكفيل قام بكتابة عدة تقارير منها "تقرير عن الإملاق" 1835 و العبودية و المستعمرات، و بعد عزوفه عن السياسة إتجه إلى تأليف كتاب يخص الثورة الفرنسية لكن المنية وافته قبل إتمام هذا المشروع غير أنه قام بنشر الجزء الأول منه "النظام القديم و الثورة" ،و ذلك سنة 1856انظر، مانسفيلد ، المرجع السابق ،ص ص 23-24.
و يعتبر ألكسي دوتوكفيل مؤلفا للكتاب المعنون بـ"عمل يتعلق بالجزائر" ألفه خصيصا لدعم نظريات صديقه لامورسيار، فقد كان دوتوكفيل من أنصار الحرب و القوة إذ صرح قائلا: "إن الفكرة القائلة بالإستحواذ على إفريقيا و بالإحتفاظ بإفريقيا، بفضل المساعدة و الدعم من طرف السكان الأهالي حلم يراود ذوى القلوب النبيلة السخية و لكنها مجرد ترهات واهية". و قال كذلك:" ليس ثمة من وسيلة أخرى غير الحرب.... "انظر ،فرانسوا مسبيرو ،سانت آرنو أو الشرف الضائع، تر احمد بكلي ، دار القصبة للنشر ، 2005 ،ص 180.
كما أن دوتوكفيل كان من ضمن أولئك الذين كانوا يؤيدون الاستعمار، فقد كانت له زيارتين إلى الجزائر على الأقل و كان ذلك سنة 1841 و كذا سنة 1846، بالإضافة إلى كتابة تقارير و مذكرات تخص الجزائر .انظر، ابو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ،ج6 ،دار البصائر للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2007 ،ص282.

2.3- نظرة ألكسي دوتوكفيل الإستعمارية إلى الجزائر:

يشير "سانت آرنو" Saint arnaud قائلا: "لئن لمسنا لدى دوتوكفيل بعض الحيرة، فمرد ذلك إلى تفكيره السليم الذي يدفعه إلى التخوف من المستقبل لا ينبغي أن تتجاوز الهمجية حدا قد يدفع بمن بقي من السكان إلى إظهار عداوة أبدية ضد التواجد الفرنسي، لأن توكفيل من جملة الناس المعادين لسياسة الإبادة التي قد تؤدي إلى تكرار الغلطة المرتكبة في حق الهنود الحمر، فينبغي حسب رأيه تقليص عدد العرب.....".[1]

و لقد كان المجتمع الجزائري في نظر دوتوكفيل نصف متحضر حضارته متخلفة و ليست متقنة، كما قامت فرنسا بالقضاء على المؤسسات التعليمية و الخيرية التي تواجد في كل مكان و استغلوها لخدمة أغراض أخرى، و بهذا الصدد قال دوتوكفيل قولته الشهيرة:"إننا بدل أن نضيء هذه الشموع (المدارس) أطفأنا ها و حسب رأيه كذلك أن الفرنسيين قد حولوا المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات متخلفة و متوحشة أكثر مما كانت عليه قبل الاحتلال، كما أن دوتوكفيل حكم على الإدارة الفرنسية بأنها كانت أقل تحضرا من الإدارة التركية في تعاملها مع الجزائريين.[2]

و بعد مغادرة الجنرال بوجو الجزائر كتب دوتوكفيل تقريرا للجنة البرلمانية قائلا:"إننا حولنا المجتمع الإسلامي أكثر بؤسا، أكثر فوضوية، و أكثر جهلا مما كان عليه قبل أن يعرفنا".[3]لكن رغم وقوف ألكسي دوتوكفيل مع الاستعمار و تأييده لفكرة الغزو و القضاء على المقاومة ،إلا أن كتاباته لم تكن تروق بعض الفرنسيين، إذ أن كتاباته عن الجزائر لم تجمع إلى غاية 1968.[4]

---

[1] مسبيرو، المرجع السابق، ص 180.

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ،ص ص 283-284.

[3] سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس صفحات مظلمة من تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر من الاحتلال 1830 إلى الاستقلال 1962، دار هومة، الجزائر،2005،ص 24.

[4] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 285.

3.3-النصوص التي كتبها ألكسي دوتوكفيل عن الجزائر:

لقد بدأ ألكسي دوتوكفيل كتاباته و تنظيره للقضية الجزائرية سنة 1837، إذ أن هذه النصوص التي كتبها أصبحت محل إهتمام الغرب ،و من بين هذه النصوص توجد"رسالة عن الجزائر" تحمل ثلاث نصوص الأول بعنوان عمل عن الجزائر ،و الثانية هو عبارة عن مجموعة من التقارير، و الثالثة هو عبارة عن يوميات رحلته إلى الجزائر.

1.النص الأول: عمل عن الجزائر "Travail sur l'Algérie ":

قام بكتابته بعد رحلته إلى الجزائر و كانت ذلك سنة 1841، يستعرض فيه نظرته حول قضية احتلال الجزائر و يقدم فيه مقترحاته القائمة أساسا على الاحتلال التام و الإستيطان بمعنى الاحتلال العسكري و الاحتلال المدني، بالإضافة إلى ما تعلق بانتزاع ملكية الأراضي في إطار الاستيطان، أو الاحتلال و كذلك القوانين و المؤسسات التي ينبغي استحداثها لحكم الجزائر.[1]

2.النص الثاني: مجموعة تقارير عن الجزائر:

كتبه سنة 1847 و قام دوتوكفيل في هذا التقرير الهام بتحليل ذلك التنظيم غير اللائق ببلد جديد كان في أمس الحاجة إلى الأمن و البساطة و السرعة[2]، ومن جملة القضايا التي ناقشها كيفية توثيق السيطرة على الأهالي و حدودها و إمكانياتها و مبادئها، بالإضافة إلى تطرقه إلى كيفية إدارة شؤون الأوربيين في الجزائر، كما بحث في الإستيطان و أنهى تقريره باستعراض المخصصات بندا بندا مع التوصية باعتمادها أو تعديلها، أما بالنسبة للتقرير الثاني فقد ناقش فيه مشروع "بوجو" الذي تمحور حول إقامة قرى أو معسكرات فلاحية مخصصة للعسكريين.[3]

3 .النص الثالث: يوميات رحلته إلى الجزائر:

و هو عبارة عن ملاحظات كتبها أثناء رحلته إلى الجزائر و ذلك سنة 1841، و قد تضمنت مشاهداته و لقاءاته و مناقشاته مع الجنود و القادة و المسئولون و رجال الدين و غيرها ممن قابلهم على طول كسار رحلته من وهران غربا إلى الجزائر و منها إلى سكيكدة و بعض مدن الشرق.[4]

---

[1] حجيلة الوالي، المرجع السابق،ص ص 80-81.

[2] جوليان، المرجع السابق،ص382.

[3] حجيلة الوالي، المرجع السابق، ص ص 81-82.

[4] نفسه ، 82.

و منه فإن فكرة احتلال الجزائر كانت ناتجة عن تفكير و تخطيط العديد من رجال الفكر و السياسة الفرنسيين ،و ذلك بهدف التوسع الجغرافي و الاقتصادي و كذا جلب ما أسموه بالحضارة إلى هذه الشعوب المستعمرة ،و هذا ما جعل رجال مثل "دو توكفيل " يكتبون رسائل و تقارير تخص الجزائر و ذلك من اجل مساعدة الدولة الفرنسية في إحكام قبضتها على الجزائر .[1]

بعد إتمام عملية الاحتلال و توقيع معاهدة الإستسلام، وتمكن فرنسا من التوسع عبر التراب الجزائري باشرت بممارسات على الصعيدين السياسي و العسكري ،و ذلك من أجل تقوية شوكتها و التحكم في الأوضاع و السيطرة علي المنطقة بشكل محكم .

و تم مخالفة كل بنود معاهدة الإستسلام و كل شروطها فسمح السفاحين لأنفسهم و أباحوا لهم كل المحرمات ،فقد ذاق الشعب الجزائري كل الويلات عل الصعيد السياسي من خلال القوانيين و أنظمة الحكم و تدعيم ذلك بالمجازر و الإبادات للقضاء علي روح المقاومة .

[1] نفسه ، ص 75.

المبحث الثاني:

الممارسات السياسية و العسكرية و أساليبها.

1- التنظيم الإداري.

2- الجرائم الفردية .

3- الجرائم الجماعية .

1.النتظيم الإداري :

1.1-الحكم العسكري في الجزائر:1830-1870:

لقد أشار غرانميزون في هذا الصدد إلى فترة نظام الحكم العسكري في الجزائر و الذي قال عنه: "تأسس النظام في الجزائر قانونيا على أمر ملكي صادر بتاريخ 22 جويلية 1834، و وضع تحت السلطة المباشرة لوزارة الحرب بما أن تلك المنطقة كانت مستعمرة عسكرية ..... فكانت الإيالة السابقة تحت إدارة رئيس له صلاحيات واسعة هو الحاكم العام، مكلف بقيادة القوات المسلحة الموجودة فوق التراب الجزائري و مسؤول عن الحرب و الحفاظ على النظام...."[1].

إذ أنه و عندما تم احتلال الجزائر و توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830، تم إنشاء لجنة حكومية لتسيير الشؤون الجزائرية ،غير أن هذه اللجنة فشلت في القيام بالمهام المسندة إليها، و هذا ما جعل القائد الجديد للقوات الفرنسية الجنرال كلوزيل clauzel يقوم بإنشاء لجنة حكومية جديدة و التي كانت بدورها متخصصة في عدة مجالات (العدالة، الداخلية و المالية) إلا أن هذا التغيير لم يجد نفعا و لم يحقق أي نتيجة و ذلك لأن الحكومة في فرنسا كانت بدورها تعيش في فوضى لا مثيل لها.

و نتيجة للتصرفات الإرتجالية للقادة العسكريين في الجزائر و انفرادهم بالسلطة إضطرت الحكومة الفرنسية إلى إصدار مرسوم ملكي يفصل المسائل العسكرية عن المسائل المدنية، و عليه فإن إدارة الشؤون الجزائرية أصبحت تتم بالشكل التالي:

أولا-المسؤول الإداري و المالي المدني: و هو المسؤول الأول عن القضايا المدنية و الموظفين و المسائل الخاصة بالجزائر، بالإضافة إلى كونه كان الوسيط بين الوزارات في فرنسا و القضايا التي تخصهم في الجزائر،و يتم تعيينه من طرف رئيس مجلس الوزراء.[2]

ثانيا -رئيس وحدات الاحتلال في إفريقيا: وهو المسؤول عن جميع العمليات العسكرية، و هو يتمتع بسلطات واسعة في مجال المحافظة على الأمن و الأملاك الفرنسية في إفريقيا بالإضافة إلى تخصصه في قضايا الشرطة و القضايا التي لها طابع أمني.[3]

---

[1] غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ،ص 257.

[2] بوحوش ، المرجع السابق ، ص ،.120

[3] نفسه ، ص 121.

ثالثا –مجلس الإدارة: يتكون هذا المجلس من رئيس وحدات الاحتلال في إفريقيا و نائبه المتمثل في المسؤول الإداري و المالي المدني، بالإضافة إلى مسؤول البحرية الفرنسية و المسؤول العسكري للجيش.

و من الجانب المدني ممثل الجمارك و المسؤول عن أملاك الدولة، لكن العسكريون الفرنسيون رفضوا السماح للمدنيين أن يتدخلوا في الشؤون الجزائرية.

غير أن كثرة الشكايات من نفس القادة العسكريين و خدمة مصالحهم الذاتية و إبادة أبناء الجزائر و إصرارهم على عزل المدنيين الفرنسيين و عدم السماح لهم بالتدخل في الشؤون الإدارية هو ما جعل الحكومة الفرنسية تقدم على إنشاء اللجنة الإفريقية لكي تحقق في الموضوع و ذلك يوم 7 جويلية 1833. [1]

و تضمن تقرير هذه اللجنة ما يلي : "لقد قضينا تماما على أملاك المؤسسات الدينية، و صادرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها و بدأنا استعمال سلطتنا بفرض غرامة قدرها(100) ألف فرنك كقرض إجباري و ذهبنا أحيانا إلى حد أن أجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات المؤسسات الخيرية إلى الغير... و قتلنا رجالا يحملون منا ورقة الأمان. و انتهكنا دون خجل بيوت الله و المقابر و الدور، و كلها ذات حرمة لدى المسلمين. و ذبحنا سكان قرى عن آخرهم بمجرد الشك فيهم، ثم تبين لنا بعد ذلك براءتهم و حاكمنا رجالا يعرفون بالتقوى في البلاد، رجالا محترمين لأنه كانت لديهم الشجاعة الكافية لمقابلتنا و التعرض لغضبنا، لا شيء سوى السعي لإخوان لهم بائسين. ولقد قام قضاة منا بمحاكمتهم، و ارتكب رجال متمدينون منا إعدامهم. لقد فقنا في البربرية هؤلاء الذين جئنا لتمدينهم".[2]

و بعد أن قامت هذه اللجنة بتحقيق في الفترة الممتدة من 1833/09/02 إلى غاية 1833/10/25، عادت إلى فرنسا و قامت بتقديم تقريرها و اقترحت احتفاظ فرنسا بالجزائر و أطلقت عليها اسم "الممتلكات الفرنسية في إفريقيا".

و بعدها تشكلت لجنة ثانية و كان ذلك في 12 ديسمبر 1833 و التي كانت تتشكل من 19 شخصية عسكرية و مدنية ، و قد تم تأكيد اقتراحات اللجنة الأولى ، من طرف أعضاء

---

[1] نفسه ،ص 121.

[2] بسام العسلي ، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830-1838، دار الرائد، الجزائر،2010،ص ص 188-189.

اللجنة الثانية و نصحوا الحكومة الفرنسية ببسط السيادة على القطر الجزائري باكمله، و العمل على استغلال الأرض و السيطرة على جميع ثروات البلاد.[1]

و لقد قال حمدان خوجة في هذا الصدد:"فقد أجمع أعضاء اللجنة على مواصلة الاحتلال و عدم التخلي عن الفرنسية لأن الجزائر تقدم لفرنسا منافع كثيرة في الميادين الاقتصادية و السياسية و الحربية. فهي سوق لترويج بضائعها و منفى للمشوشين من أبنائها، و مركز إستراتيجي تستعمله في حروبها و في نشر سلطانها على البحر الأبيض المتوسط".[2]

وعليه فإن التقرير الذي تم تقديمه من طرف اللجنة الثانية للحكومة الفرنسية في 10 مارس 1834، اشتمل على اقتراحات ذات أبعاد خطيرة تتمثل فيما يلي:

1- خلق منصب الحاكم العام في الجزائر و اعتباره مسؤولا عن الشؤون المدنية و العسكرية.

2- إعطاء الحاكم العام صلاحيات تمثلت في إدخال عناصر جزائرية إلى المجلس البلدي.

3- إنشاء مجالس بلدية في كل من الجزائر، وهران و عنابة.

4- إنشاء ميزانية خاصة للجزائر

5- تخفيض عدد أفراد الجيش إلى 21.000 جندي.[3]

و عليه نقول أن الجزائر أصبحت تحكم بطريقة عسكرية و هي خاضعة لوزارة الحربية الفرنسية أي أنها لا تنطبق عليها القوانين الفرنسية بصفة طبيعية لأن لديها نظام عسكري خاص بالجزائر.[4] كما أن سنة 1834 تعد تاريخا هاما بالنسبة للاستعمار في الجزائر، إذ أن الحكومة الفرنسية قررت البقاء في الجزائر و تنظيم غزوها الجديد، و بعدها صدور أمرية جويلية 1834التي تم بموجبها إحداث و تكريس وظيفة الحاكم العام.[5] و في هذا التاريخ كذلك قررت الحكومة الفرنسية إلحاق الجزائر بفرنسا باعتبارها مستعمرة فرنسية عسكرية.[6]

---

[1] بوحوش ، المرجع السابق ، ص ص 121-122.

[2] محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، منشورات السهل،2009، ص91.

[3] بوحوش ، المرجع السابق ،ص121.

[4] نفسه ،ص ص 122-123.

[5] جمال خرشي،الاستعمار و سياسة الاستيعاب و الإدماج في الجزائر1830-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009،ص88.

[6] بشير كاشه الفرحي، مختصر وقائع و أحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ص37.

و حسب النصوص القانونية التي وردت في الأمر الرئاسي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1834، فإن الحاكم العام يعين من طرف مجلس الوزارة بناء على اقتراح من وزير الحرب الفرنسي، و في البداية أسندت له كل الصلاحيات بحيث يقوم بإعداد الميزانية التي تدخل في إطار ميزانية وزارة الحرب، بالإضافة إلى إشرافه على قضايا جمع الضرائب و فرضها و معاقبة من لا يدفعها. وكذا اختصاصه بقضايا العدالة و أعمال رجال القضاء و مسائل الأمن و الشرطة و القضايا العسكرية.[1]

و بناءا على هذا التنظيم الجديد و المتمثل في خضوع الجزائر لوزارة الحرب الفرنسية حتى سنة 1870، و التي كان يشرف على تنفيذ أوامرها الحاكم العام، و عليه فإن الحكومة الفرنسية قد قامت بترك الجزائر لوزارة الحربية لكي توجهها حسبما تقتضي مصلحة القادة العسكريين و مصلحة المغامرين الأجانب الذين جاؤوا من جميع أنحاء أوربا للاستيلاء على خيرات الجزائر و تسخير أبناء هذا البلد بأرخص الأثمان. و لتحقيق كل هذه الأهداف و إقامة ادارة قوية قادرة على التحكم في مجرى الامور بالجزائر.[2]

و في هذا الإطار قام الحاكم العام بتعيين:

1-قائد للجيش لكي يساعده في الميدان العسكري.

2-قائد للبحرية مسؤول عن القوات الفرنسية في قطاعه.

3-مسؤول عن القضايا المالية و الإدارية في الميدان العسكري.

بالإضافة إلى المساعدين المدنيين الذين كانوا تحت الإشراف المباشر للحاكم العام وهم :

1-المسؤول الإداري المدني.

2-النائب العام.

3-المدير المالي.

و نذكر في ذات السياق مجلس الإدارة الذي كان يعتبر السلطة العليا لاتخاذ القرارات الجماعية و كونه كذلك كان يختص بدراسة الميزانية في الجزائر، و الجباية المالية في الميدان الجمركي و الأمن و العبادات.[3]

---

[1] بوحوش، المرجع السابق،ص 123.

[2] نفسه ،ص123.

[3] نفسه،ص،ص 124-125.

1-المكاتب العربية:

لقد اكتمل التنظيم الخاص للسلطة المركزية في الجزائر، لإخضاع السكان بقيادة السلطات العسكرية و بدعم من السلطات السياسية في باريس باستحداث هيئة محلية هي المكاتب العربية[1] بقرار وزاري مؤرخ في 1 فيفري 1844 .[2]

كما أن هذه المكاتب أحدثت من أجل إحكام المراقبة على تحركات الجزائريين و إخضاعهم نفسيا و محاصرتهم معنويا،وكذا مراقبة كل توجه معاد للجيش الفرنسي أو معاكس للإدارة الفرنسية في الجزائر، و هذا ما جعل أسلوب المكاتب العربية في الواقع نوعا من الحكم العسكري المعتمد على الإرهاب و القمع، فهو يعتبر ضمن طرق الإخضاع غير المباشر كما أنه يعتبر أحد وسائل الحرب النفسية.

تم إنشاء هذه المكاتب في السنوات الأولى من الاحتلال عندما أحدثت مكاتب الشؤون العربية خلال سنة 1833، و التي تمثلت مهمتها في التكفل بالمراسلات و العلاقات مع العرب خارج المدن، و بعدها ترجمة الوثائق المتعلقة بالسكان العرب في الريف. و بداية من سنة 1834 أصبحت هذه المكاتب تسير تحت إشراف ضباط لهم دراية بعادات و تقاليد الجزائريين [3]

---

[1] - المكتب العربي هو عبارة عن هيئة صغيرة أنشأها الفرنسيون في كل المدن و القرى الجزائرية و قد كان يرأسها فرنسي برتبة عقيد في الغالب، بالإضافة إلى عناصر أخرى و المتمثلة بدورها في المساعد و المترجم و الشاوش، انحصرت مهمتها في الجوسسة عن الأهالي و في نفس الوقت أداة للتفرقة بينهم، و ذلك لكون المستعمر كان يجهل لغة المجتمع الجزائري و تقاليده و الطبيعة الجغرافية للبلاد فاعتمد على مثل هذه المؤسسات. و بذلك فهي حلقة وصل بين قوات المستعمر و الجزائريين.(أنظر)، بوخاوش، المرجع السابق، ص 113. و المكتب العربي كذلك هو بمثابة همزة وصل بين الجنس الأوربي الذي استقر في الجزائر منذ 1830 و بين الأهلي الذي يسكن و لا يزال يسكن هذا البلد.(أنظر)عبد المحميد زورو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010،ص177.

[2] - عزانميزون، الإستعمار، المرجع السابق،ص283.

[3] ناصر الدين سعيدوني ،الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ،ط 2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2008،ص ص 30-31.

2-أهداف المكاتب العربية:

- لقد كانت هذه المكاتب تهدف إلى تحقيق ما يلي:

أ-إخضاع الجزائريين ذكورا وإناثا،كبارا وصغارا،فقراء وأغنياء،متعلمين وأميين و تجار.[1] وفلاحين للسلطات الفرنسية المدنية والعسكرية والامتثال لأوامرها و عدم معارضتها في أي شيء.

ب- مراقبة تحركات المقاومين للاحتلال الفرنسي والإخبار عنهم للقضاء عليهم وذلك من أجل تحقيق الأمن وربح سلطات الاحتلال.

ج- مساعدة العسكريين الفرنسيين لأداء مهامهم العسكرية.

د الاستفادة من الضرائب التي كانت تفرضها سلطات الاحتلال على المواطنين.

هـ- السمع و الطاعة لسلطة الاحتلال و عدم الخروج عن طاعتها ووجوب تطبيق أوامرها دون مناقشة أو معارضة.[2]

وهذه المكاتب التي كانت تشبه (البلدية) كانت تتكون من ضابط عسكري ،رئيسا،وترجمان يجيد الترجمة و كذا مجموعة من الكتاب و الحراس و العمال لضمان التسيير العادي المنتظر للمكتب، و قد كان لهذه المكاتب إدارة مركزية بالعاصمة، و أخرى بقسنطينة وثالث بوهران، حيث تم تقسيم الجزائر إداريا إلى ثلاث مقاطعات في شمالها (العاصمة في وسط البلاد، قسنطينة في الشرق، وهران في الغرب) و لكل مقاطعة من هذه المقاطعات مجموعة من المكاتب العربية محاولة ترسيخ أقدام المستعمر في الجزائر وكان المكتب العربي يعد أيضا بمثابة مركز شرطة ودار قضاء.[3]

3- نهاية المكاتب العربية:

لقد كان ضباط المكاتب العربية يتلقون الإتهامات والشتائم من طرف المعمرين ومن بين ما قيل عنهم أنهم كانوا يعملون على الزيادة من ثرواتهم ،وهو ما جعل المعمرين يقتنعون بأن ثروات الأهالي من افتعال المكاتب العربية كما أنهم كانوا يعتقدون أن ثورة 1871 كانت من افتعال ضباط المكاتب العربية .

---

[1]- كاشه الفرحي ، المرجع السابق ، ص 51.

[2] نفسه، المرجع السابق ، ص 51.

[3] صالح فركوس،إدارة المكاتب العربية و الاحتلال الفرنسي للجزائر،ط1،البصائر الجديدة للنشر و التوزيع،الجزائر،2013،ص27.

وازدادت حدة الاتهامات وأصبحت هذه المؤسسة تحمل مسؤولية كل ما يقع في القطر الجزائري بالإضافة إلى محاكمتها وإبعادها مرة واحدة عن الساحة و ذلك بعد إعلان جمهورية سبتمبر 1870، و نتيجة لضغوط المعمرين على حكومة الدفاع الوطني في "تور" تم إصدار قرارات 24 أكتوبر و التي نصت على ما يلي:

1- إلغاء النظام العسكري والمكاتب العربية وامتيازات رؤساء الأهالي.

2- إنشاء محاكم الجنايات وإخضاع الجزائريين إليها.

3- تجنيس يهود الجزائر بصورة جماعية و إجبارية.[1]

2.1-الحكم المدني:

بعدما عجز المستوطنون على السيطرة على الوضع الذي كان قائما في الجزائر في مرحلة الحكم العسكري، الأمر الذي جعلهم يقدمون على معارضة سياسة الماريشال بيجوBugeaud الخاصة بالجزائر، وعليه فإن المستوطنين أرادوا أن يجعلوا من العسكريين أداة قهر ضد السكان و ذلك لإرغامهم على ترك أراضيهم فضغطوا بذلك على نابوليون الثالث في الفترة الأخيرة من حكمه فقام بإصدار مرسوم في 31 ماي 1870 يخول للمعمرين التحرر من سيطرة العسكريين، و بموجبه أصبحت لهم الحرية التامة في تسيير شؤون العمالات، بالإضافة إلى مرسوم 11 جوان 1870 والذي أصبح بموجبه المستوطنين يتمتعون بحق إجراء الانتخابات في المناطق المدنية و حرية اختيار ممثليهم في المجالس العمومية.[2]

و أمام تصاعد الأوضاع الداخلية بسبب الفوضى التي أحدثها المستوطنون رضخت حكومة باريس على عهد الجمهورية الثالثة إلى مطالبهم و أعلنت عن عهد جديد في الجزائر و هو الحكم المدني و بالتالي عادت إلى السياسة القديمة القائمة على الإندماج و الاستعمار و المصادرة و القهر الشديد، إذ أنه تم الإعلان عنه في 9 مارس 1871 و الذي فتح ملف الاستيطان من جديد وفرض الإدارة الاستعمارية لعدة قوانين و مراسيم.[3]

---

[1] نفسه، ص ص 365-366.

[2] بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 و انعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010،ص،ص 96-97.

[3] نفسه ، ص 97.

1-أهم القوانين التي ظهرت في مرحلة نظام الحكم المدني:

ومما لا شك فيه أن قيام النظام المدني وسقوط الإمبراطورية الثانية ،نتج عنه ظهور عدة مراسيم و قوانين و التي تمثلت بدورها في قوانين جويلية و سبتمبر 1871 و التي نصت بنودها على السماح بتأجير الأراضي إلى المعمرين و ذلك دون دفع الضرائب، بالإضافة إلى مرسوم 06 أكتوبر 1871 الذي أعطى الأولوية للمستوطنين في الاستفادة من القوانين السابقة، و كذا مرسوم 30 سبتمبر 1878 الذي كان يهدف إلى إقامة أكبر عدد ممكن من الملكيات الصغيرة .[1]

هذا إلى جانب قانون أوغست وارني August Warnier و المعروف بقانون 26 جويلية 1873 وذلك لتكريس عملية فرنسة العقار الجزائري وأية عقارات تخضع للقانون العضوي الفرنسي مهما كان شكلها حتى و لو كانت بين المسلمين خاصة في المناطق التلية و بلاد القبائل.[2]

بالإضافة إلى ما سبق سوف نعرج على بعض القوانين الرئيسية الأخرى التي فرضتها الإدارة الاستعمارية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1-قانون كريميو[3] Dérect Crémieux :

لقد دأب هذا اليهودي على إصدار هذا القانون"مرسوم كريميو" و ذلك من طرف حكومة الدفاع الوطني بباريس في 24 أكتوبر 1870، و الذي نص على تجنيس جماعي ليهود الجزائر ،و من بين السلبيات التي ترتبت عن هذا المرسوم نذكر:

- ازدياد عدد الفرنسيين بالجزائر.
- إرتقاء الأوضاع العامة لليهود و زيادة نفوذهم.
- إندلا ع ثورة المقراني احتجاجا على استعلاء اليهود.
- إختلال العلاقات بين المسلمين و اليهود، و توترها أحيانا بينهم و بين المستوطنين.[4]

---

[1] نفسه،ص 97.

[2] محمد بليل، تشريعيات الاستعمار الفرنسي في الجزائر و انعكاساتها على الجزائريين 1881-1914، دار سنجاق الدين للكتاب،ص69.

[3] إسحاق موشي كريميو(1796-1880) المعروف بأدولف كريميو محامي و سياسي فرنسي يهودي، اتخذ نائبا منذ عام 1848 و آخرها نائبا على مدينة الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية سنة 1871.(انظر) بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر،ص ص 232

[4] نفسه ، ص ص 232 233.

و أهم ما جاء فيه ما يلي:

- إلغاء منصب الحاكم العام العسكري و تعويضه بحاكم مدني.

- ضرورة حصر سلطة القائد العسكري في المناطق التي يتواجد فيها الجيش فقط دون تدخله في القضايا المدنية.

- الحاكم العام المدني يعين من طرف مجلس الوزراء و هو الذي يطبق سياسة الحكومة في الجزائر.

- يؤسس مسؤولو المقاطعات مجالس عامة منتخبة خاصة بالفرنسيين دون سواهم و يحق لوزارة الداخلية تعيين ستة مسلمين في كل مجلس عام.[1]

2-قانون الأهالي Code de l'indigénat:

صدر هذا القانون في 29 أوت 1874 إذ أنه جاء من أجل منح رؤساء العمالات صلاحيات إعداد قوائم المخالفات ضد الجزائريين على أن يتولى القضاة المدنيون تطبيق العقوبات، وعليه فإن الأحكام عن هؤلاء القضاة المدنيون كانت تعتبر في نظر القانون أحكاما نهائية. كما أن هدف الحاكم العام المدني من إصدار هذا القانون الجائر هو فرض النظام و الأمن خاصة البند 17 والذي تعلق بجهاز القضاء في منطقة القبائل، و قد تم تعميمه على كامل التراب الجزائري في 11 سبتمبر 1875.

و بموجب هذه الإجراءات القانونية الغير عادية كان الأوربيون يقومون ببعض التجاوزات التي كانت تعتبر خرقا للقانون بالنسبة للجزائريين.

و إضافة إلى هذا القانون (قانون الأهالي) قام الحكام العامين بإصدار مجموعة من القوانين التي اعتبرت تكميلية، فقد أقدم الحكام "ألبر غريفي Alber Grevy" على إصدار قانون 28 جوان 1881 و الذي كان يصب في نفس اتجاه قانون الأهالي، و قانون 27 جوان 1888 و ذلك في عهد الحاكم العام المدني لويس تيرمان Louis Tirman. [2]

---

[1]. بوعزة، سياسة فرنسا، المرجع السابق،99

[2] نفسه ،ص 100.

كما أن عملية إصدار القوانين المتعلقة بمعاقبة الأهالي من طرف السلطة المدنية شهدت استمرارا منها قوانين 27 جويلية 1890 و 21 ديسمبر 1890، و 21 ديسمبر 1897 و غيرها. و عليه فإن كل من قانون الأهالي و القوانين التكميلية التي تبعته وضعت كلها لقهر الإنسان الجزائري و تقوية المستوطن الأوربي، كما أن هذه القوانين بقيت سارية المفعول إلى غاية 1944.[1]

و في هذا الصدد يقول غرانميزون:" فكان قانون الأهالي عملية عقلنة لإجراءات تراكمت منذ 1830 في ظروف قانونية غامضة في أغلب الأحيان...، و إنجاز يضاف إلى سلطات الحاكم العام و يكرس اقتران من نوع خاص بين حالة الإستثناء الدائم و الجمهورية ...".[2] و قال أيضا " فكان لقانون الأهالي أن يحفظ السيطرة الفرنسية في الحياة العادية و في كل لحظة بإخضاع العرب لمعاملة جد خاصة و يدل على انتمائهم إلى فئة مختلفة، يجب أن تبقى في الهامش لأنها تهدد الاستقرار..."[3]

2- ثورة 1871 :

و التي تمثلت في ثورة الباش آغا المقراني [4] في منطقة القبائل سنة 1871، و دامت سنة كاملة تواجه فيها 000 200 مقاوم مع 000 80 جندي فرنسي و قد اشتبك الطرفان في 340 معركة، وهذا ما يدل على أنها حرب حقيقية و ليست مجرد عمليات بوليسية تراقب توسع النظام الاستعماري.[5]

و إن ثورة 1871 في نظر الفرنسيين كانت آخر و أخطر ثورة ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، هذه الأخيرة التي قام بها كل من عائلتي المقراني و الحداد، و الواقع أن هذه الثورة ليست آخر ثورة، ذلك لأنه وقعت عدة ثورات أخرى بعدها و التي امتدت إلى نهاية القرن و بعض الثورات والتمردات التي حصلت في مطلع القرن 20 م.[6]

---

[1] نفسه ،ص101.

[2] غرانميزون، الاستعمار، المرجع السابق، ص 312.

[3] نفسه ، ص 314.

[4] يتفق معظم المؤرخين على أن نسب أسرة المقراني يعود إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، و الحاج محمد المقراني هو أحد أبطال ثورة 1871 و قد عرف عنه بالذكاء و الكفاءة وبعد تعيينه من طرف السلطات الفرنسية سنة 1853 بلقب "باش آغا" بدأ عهده بالحج ثم عاد عن طريق تركيا و فرنسا إلى الجزائر سنة 1855. استشهد بعد 51 يوما من بداية ثورته. أنظر بسام العسلي، محمد المقراني و ثورة 1871 الجزائرية، دار الرائد، الجزائر، 2010، ص ث 119-123.

[5] غرانميزون، الاستعمار، المرجع السابق، ص 142.

[6] محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط 3 ، منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر ، ص 85.

و لقد تجسدت خطورة هذه الثورة في عدة جوانب نجملها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

- أنها امتدت عاما كاملا" من 14 جويلية 1870 إلى غاية جانفي 1872.

-شملت مناطق واسعة تكاد تمثل نصف البلاد تقريبا.

-خاض الثوار 340 معركة كبيرة ضد القوات الفرنسية.

-تغلغل عقلية الثورة و العصيان في أدمغة الأغلبية الساحقة من الجزائريين.

غير أن الفرنسيين استهانوا بهذه الثورة ولم يولوها اهتماما و قاموا بتجريدها من محتواها الوطني وذلك بادعائهم:

-أنها انتفاضة شخصية أي قامت بدوافع شخصية لدى كل من المقراني و الحداد.[1]

-أنها انتفاضة قامت بإيحاء خارجي.

و هو ما جعل السلطات الفرنسية توجد تبريرات لمواجهة مثل هذه الانتفاضات بكل قمع و شراسة و تطبيق الإجراءات القاسية و ذلك من خلال اللجوء إلى سياسة مصادرة الأراضي و أملاك الأشخاص و أملاك المجموعات نحو الحكم بالإعدام على البعض منهم و نفي البعض منهم إلى الخارج.[2]

[1] – محمد مزيان الحداد من مواليد سنة 1793 ، تلقى تعليمه في زاوية الشيخ ابن اعراب في قرية "ايت ايراثن "بجبال جرجرة و بعدها تفرغ للوعظ و الارشاد و تزايد الطلاب حوله في الزاوية التي أنشأها ،و بعد وفاة شيخ الرحمانيين الحاج عمر صار محمد الحداد هو الزعيم للإخوان الرحمانيين، عرف عن الشيخ الحداد عزوفه عن السلطة الرسمية و قوة عاطفته الدينية. أنظر، العسلي، محمد المقراني، المرجع السابق، ص ص 145-146.

[2] – العلوي، المرجع السابق، ص ص 86-87.

لقد اقترف الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأت قدمه أرض الجزائر العديد من الجرائم بمختلف أنواعها و أساليبها في حق الشعب الجزائري ، فقد عرف تنوعت بين الجرائم الفردية و الجماعية .

بالنسبة للفردية فلم يميز السفاحين بين الأطفال و النساء و الشيوخ فارتكبت المجازر البشرية والتمثيل الوحشي بالمواطنين الجزائريين دون استثناء ،فقد سادت حالة الإرهاب و الفزع و القلق في نفوس الشعب فعملت على التخريب و التدمير و النهب و اللصوصية .

أما الإبادة الجماعية فقد تمثلت في تعرض العديد من المناطق إلى الاعتداءات ،التي حمل لواءها جنود و قادة عسكريين عملوا على محاولة القضاء على القبائل و المقاومات الشعبية ،كما كان الهدف من عمليات الإبادة الجماعية مصادرة ممتلكات القبائل و أراضيهم و منحها للمستوطنين الأوربيين فهي تقضي على حياة النفس البشرية كما تعد من أخطر الجرائم ضد الإنسانية.

2. الجرائم الفردية :

رغم عقد إتفاقية بين الداي حسين وقائد الجيوش الفرنسية الجنرال دوبورمون De Bourmont ،وكان من بنود هذه الاتفاقية أن تطلق الحرية التامة للدين الإسلامي والتكفل بأملاك أهل البلاد وتجارتهم وصناعتهم وتحفظ أغراضهم وتحترم نساؤهم. [1]

غير أن الفرنسيون لجأوا إلى سياسة استعمارية بغيضة متعددة الجوانب تهدف إلي إنهاء و محو المقومات الشخصية و الحضارية ،و ذلك من خلال الاعتداءات الإجرامية على أرواح الجزائريين و ممتلكاتهم و دينهم، و هذا خلافا لما جاء في معاهدة الاستسلام[2] 5 جويلية 1830 بين الداي حسين و دوبورمون و التي جاء فيها : "تبقي ممارسة الديانة المحمدية حرة ، و لن ينال من حرية

---

[1] محمد صالح الصديق ، كيف ننسي وهذه جرائمهم ، دار هومة للطبع ، الجزائر ،2009،ص53.

انظر الملحق رقم (03) ،ص 83.

[2] وفي غضون أيام تحولت الحملة إلى احتلال و تحويل تأديب الداي حسين باشا إلى تأديب شعب و أطلقوا منذئذ اسم جديد هو التهدئة ،و تحول الانتقام من الترك المستبد الغرباء إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال ،وقد شمل هذا الغزو الانسان و الأرض و الثقافة و الدين .انظر، صالح حمير، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر بداية الاحتلال 1830-1840،مجلة كان التاريخية ،العدد22 ،ديسمبر 2013 ،ص 16 .

السكان في جميع الطبقات و لا من ديانتهم و ممتلكاتهم و تجارتهم و صناعتهم ...إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك "[1].

إن أعيان المدينة الذين رضوا بالتفاوض مع الفرنسيين و ألحوا على حسين باشا بعقد اتفاق مع قائد الحملة و الذين اعترفوا بالكلام المعسول، الذي جاء في البيان الذي وزعه الفرنسيين عشية الحملة بهدف التأثير المعنوي على السكان ،و عزل الحسين باشا عن الشعب .

هؤلاء الأعيان قد واجهوا أول صدمة لهم و هم يشاهدون دعاة التحرر و قد اصبحوا يمارسون التخريب ، و لكن ما كانوا يشاهدونه و يسمعون عنه و يعانونه كان حقيقة لا خيالا وهي أنه لا أمن و لا كرامة مع هؤلاء السفاحين .[2]

انفتحت الطريق أمام الجيش الفرنسي ، فاتبع أسلوب التقتيل و التمثيل بالجثث التي تقطع إربا و يؤتى بأشلائهم رؤوس و آذان كغنائم ثمينة من قبل الجنود الفرنسيين ،لأنهم يحصلون بفضلها على منحات ،و كان تدمير المدن و القرى و الاستيلاء على الأغنام و المخازن ، تدمير الحقول وأخيرا كان الارهاب ضد من بقي على قيد الحياة هكذا كانت أساليب الجيش الفرنسي[3] .

لقد عرفت الجزائر ما بين سنتي 1830-1848 سياسة فرنسية حملت شعار "دع الجيش حرا" فقائد الجيش له سلطة مطلقة في التصرف ،ففي الجزائر طبق دوبورمون طرق إرهابية نحو سكان الجزائر فأعطى الحرية ليبعث فيهم الفساد في المدينة .

فقد ترك المدينة في حالة فوضوية متناهية كما قام بطرد المسؤولين السياسيين من الجزائر ،لتصبح المدينة تحت طائلة القرارات العسكرية التي لم تشهد الثبات :"إن البلاد أصبحت في فوضى فالرسميون السابقون قد طردوا وأصبحت القرارات وقواعد الإدارة في حالة من الفوضى بعد الاستيلاء على القصبة".[4]

---

[1] نفسه،ص124 .

[2] نفسه،ص 25 .

[3] غرانميزون ، الاستعمار الابادة ، المرجع السابق ، ص 174

[4] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج2،دار البصائر،الجزائر،2007،ص ص 91-92.

لم تقم السلطات الفرنسية بالاحتلال العسكري، إذ أننا نجدها انتهجت كل الأساليب والصيغ القانونية الردعية التي تهدف إلى عدم فتح المجال أمام الجزائريين لرفض سياسة أمر الواقع ،هذه الأفكارّ اعتمدت على مبدأ الإبادة والقتل والتشريد والتعذيب[1] والإبعاد والنفي والتهجير العنصري مبادئ لها [2].

يعتبر شيء معين للجيش الفرنسي حيث يقوم بمواجهة شعب أعزل ومحاصرته فيختطف النساء ولكل امرأة ثلاثة أطفال ويتم نهب أبقارهم وحميرهم وأغنامهم وتترك بأراضيهم جثث القتلى، وكتبرير لهذه الجرائم القبيحة قالوا بأن كل الحروب تتطلب معالمة العدو بهذه الطريقة .

صرح الجنرال شنغانييه Changanier :"ظهرت وحشية الجيش الفرنسي على الجزائر منذ 1830..... كنا نشاهد أساور النساء التي كانت بالمعاصم وأقراط تتدلى من بقايا اللحم ،وما يقبض الجنود الذباحين سفاكي الدماء وما يزيد الأمر لما هو إجبار الأهالي على مشاهدة ما يجري في الأسواق" [3] كما يقول :"لقد وجدوا غير التسلية لهم في الغارات المتكررة التي كنت أشنها في الشتاء ضد القبائل المناهضة لنا بين الحراش وبوركيكة ."[4]

إذ أنه إذا كان من الممكن في الحروب المعهودة في أوربا أن نرغم العدو على طلب الصلح بعد إلحاق الهزيمة به في معركة أو معركتين واحتلال عاصمة بلاده والاستيلاء على الخزينة العامة وفرض الضرائب الباهضة عليه وإيقاف الحركة التجارية في بلاده ،فليس الأمر كذلك بالنسبة للعرب ، لأن

[1] إن التعذيب خاصية وظاهرة من ظواهر الاستعمار الفرنسي في الجزائر فقد ارتبط اسمها باسم التعذيب منذ حلولها على أرض الجزائر، وقد تفنن في ممارستها ضباط الجيش الفرنسي.(انظر) ،نادية طرشون ،التطور التاريخي للمنظومة القانونية القمعية الفرنسية خلال ق 19 ، ،ملتقى دولي حول الممارسات القمعية و السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1962التعذيب نموذجا، 4-5 ماي 2015 ،ص34.

[2] نفسه، ص 34

[3] سلاماني عبد القادر، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة 1832-1974 ، دط، دار قرطبة للنشر و والتوزيع ،الجزائر ،2012 ،ص ص 221-22

[4] مصطفي الاشرف ، الجزائر الامة و المجتمع ،تر حنفي بن عيسي ،د ط ،دار القصبة لنشر ،2007،ص 107

الجيش الفرنسي بعد أن قضى على عبد القادر وشتت جيشه ،كان لزاما عليه أن يستولي على الأموال والأرزاق ، وأن يرغم القبائل على الاستسلام .[1]

حيث أن الاستعمار الفرنسي تبني سياسة الحرب الشاملة و الظلم على العنصر البشري الجزائري، فعمل جاهدا علي حرق المداشير بأكملها و بأهاليها و حتى حيواناتها ، فقضى على الرجال و قطع الرؤوس و مثل بالجثث و فتح بطون الأمهات الحوامل و أبيدت الاعراش بأكملها ،كما شردت عائلات و نفيت و هجرت قصرا إلى مختلف أراضي المعمورة .[2] صرح الجنرال بيجو أمام البرلمان الفرنسي عام 1830 ما يلي :" أينما وجدت المياه الصالحة و الارض الخصبة يجب إقامة المعمرين بدون استشارة من أصحاب الأراضي هذه. "[3]

يجب على فرنسا تدمير الجنسية العربية و قوة الأمير لكي تفرض السيطرة المطلقة الضرورية لإخضاع البلاد هكذا تحدث بيجو 1840، وهي التوجيهات التي نالت نجاحا كبيرا سنة من تنفيذها عندما نصب حاكما عاما على الجزائر في 29 ديسمبر من نفس السنة ، فكان تعيينه منعرجا سياسيا في فرنسا.[4]

لقد تميزت الأوضاع في الجزائر بعد الاحتلال بالعنف ، بحيث مارس المستعمر الفرنسي منذ بداية الاحتلال كل أنواع الإبادة و الاضطهاد القومي والحضاري في الجزائر، حيث يقول **دومونتنياك De Montgnac**في كتابه رسائل جندي "أننا في وسط البلاد وهمنا الوحيد الإحراق والتدمير و التخريب حتى نزلنا البلاد قاعا صفصفا " و بذكاء كبير يفسر تمثيله للجثث في رسالة وجهها لأحد أقاربه يقول:"العرب يتخيلون أن مسلما مزقت جثته من طرف مسيحي لايمكنه الصعود إلى السماء ،ولهذا فإن رأسا مقطوعة تسبب رعبا أكبر من موت خمسين شخصا ،لقد فهمت هذا منذ

---

[1] سعيد بوخاوش،الاستعمار الفرنسي و سياسة الفرنسية في الجزائر ،د ط ، دار تفتيلت للنشر ،ص ص 25 -26.

[2] بزيان ،المرجع السابق ، ص 21.

[3] غير ان المؤرخ الفرنسي جاك جوركي وهو مناضل سابق في الحزب الشيوعي الذي اكد ان الفرنسيين قتلوا من الجزائريين منذ الاحتلال مرورا بالثورات و الانتفاضات التي قام بها الوطنيون الجزائريون الي غاية الاستقلال 10 ملايين شهيدا ، ترى كم قتل الاستعمار الفرنسي من الجزائريين خلال ثورة المقراني 1871 ، للتفصيل اكثر انظر بزيان، المرجع السابق ص 23 .

[4] غرانميزون ، الاستعمار، المرجع السابق ، ص 173.

مدة و أؤكد لك أن القليل فقط ينجون من مخالب دون أن أذيقهم من حلاوة تلك العملية ،إنه بالتأكيد تفكير جيد ذلك الذي يوفق بين المعتقدات الدينية للأهالي بين عمله الترهيبي بما يرعبهم أكثر " [1]

بالإضافة الى جرائم الجنرال دوروفيقو De Rovigo [2] هذا الأخير الذي أقدم سنة 1832 على تسليط عقوبات جماعية على قبيلة العوفية،[3] كما أنه اتخذ عندما تولى قيادة الجيش الفرنسي سياسة إبادية فلجأ إلى اجراءات تعسفية ففرض غرامات ثقيلة على سكان الجزائر، القليعة والبليدة ،فلم يتردد في نكث العهد الذي أعطاه على نفسه القائد " بني خليل العربي بن موسى" وقائد السبت " مسعود بن عبد الوادي " الذين نفذ فيهما حكم الإعدام سنة 1833 بالرغم من توسط قائد الخشنة الشيخ "محمد المخفي " المتعامل معه،كما سارع الى حجز أقارب آغا العرب السيد محي الدين لإرغامه على التعامل معه وأصدر أوامر بإبادة قبيلة العوفية .[4]

أما عن شهادة سانت آرنو Saint- Arnaud[5] فيقول في رسالة إلى صديقه 1832 مايلي " فغدا الخميس التاسع عشر من هذا الشهر سأقدم على عمل عظيم ،قمت للتو باعطاء

---

[1] نفسه ،ص ص 198-199.

[2] دوروفيقو تولى السلطة بلقب القائد العام لفريق احتلال افريقية وانطلقت عهدة السلطة العسكرية والسلطة المدنية بأمر ملكي كانت تقع تحت أوامر الإجراءات السياسية والأمن العام في الأماكن الواقعة تحت أمره فقد كان يشتمل على السهر على الخدمات المالية و العدالة ،أما منصب متصرف مدني الذي تقلده اثناء هذه الفترة هو البارون بيشون فقد كان يشمل السهر على الخدمات المدنيةو المالية و العدالة و إذا كان دروفيقو يتبع إداريا وزير الحربية فإن المتصرف المدني كان يتبع رئيس الوزراء مباشرة و الوزارات الأخرى المعنية و بناءا على هذا التنظيم الجديد فإنه يتألف من أعضاء يمثلون المصالح الأساسية (المتصرف المدني ، العسكري المفتش العام للمالية و قائد الوحدات البحرية و مدير الجمارك) ...تحت رئاسة القائد العام دروفيقو . انظر، سعد الله ، الحركة الوطنية،ج1، ص 49

[3] بوخاوش ،المرجع السابق، ص 25- 26

[4] سعيدوني ، عصر الامير عبد القادر الجزائري ،المرجع السابق،ص 128 .

[5]. سانت آرنو ولد سنة 1798م كان أبوه محاميا،كان من بين الفرنسيين الملازمين لبيجو و المقربين منه كان ضمن الجيش الفرنسي برتبة ملازم و ذلك سنة 1841،و بعدها اصبح برتبة عقيد سنة 1848،و في سنة 1851صار جنرالا و بعدها اصبح ماريشال فرنسا في سنة 1852 توفي سنة 1854.(**انظر**) François Maspero,L'Honneur de Saint Arnaud ,Casbah Editions, ,2004,p41.(**وانظر كذلك**) Amar Belkoudja,Barbarie coloniale en Afrique préface de djilali Sari,Edition ANEP,p153.

أوامري للفرق التي أقودها ، اتخذت كل التدابير وأرجو اللحاق بذلك الكروسي البلدة وعصابة، لدي جاسوس يقودني ويوجهني لذا أعرف الأماكن التي يلجأ إليها سأجعلهم يتعاركون ويشتغلون طيلة اليوم ، وأنقض أنا على المزرعة الوحيدة التي تركتها ليتخذها ملاذا له ، أن أتخيل هذا الهجوم منذ وقت طويل كما لم يسبق لي[1] أن أرسلت جندا أو دوريات إلى هذه الناحية سيراني غدا للمرة الأولى وأرجو أن تكون الأخيرة سأوجه له بعض من الرصاصات التي أرسلتها ". [2]

و يقول الجنرال فوري سنة 1843 " انطلقت من مليانة وشرشال سبعة طوابير بهدف التخريب واختطاف أكبر عدد ممكن من قطعان الغنم، وعلى الأخص اختطاف النساء والأطفال لأن الوالي العام (بيجو) كان يريد إرسالهم إلى فرنسا وأن يلقي الفزع في قلوب السكان".[3]

موقف دو توكفيل :

توكفيل كان دائما حريصا على عدم التفريط في العرب والذي كان يفضل الضغط عليهم بدل إبادتهم كان يميل إلى هذا الرأي في عمله بالجزائر عام 1841 "كثيرا ما سمعت في فرنسا رجالا أحترمهم ولكن لا أوافقهم ،يرون من غير اللائق أن يحرق الزرع وتفرغ المخازن وأن يؤخذ الرجال بدون سلاح والنساء والأطفال ،أما أنا ففي رأيي ضروريات مؤسفة ينبغي أن يتبناها كل شعب يريد أن يقاتل العرب ".[4]كما يقول أيضا: "...بما أننا قبلنا هذا العنف الكبير المتمثل في الغزو أعتقد أنه لا ينبغي أن نتراجع دون أعمال العنف الجريئة التي هي ضرورية مطلقة لتكريسها "

---

[1] سانت ارنو، مذكرات الماريشال سانت ارنو 1832-1841،تر عبد القادر ليفا بداه المهدي ،دار المعرفة ،الجزائر ،2013، ص 21-22 .

[2] نفسه،ص ص 21-22.

[3] الاشرف ، المرجع السابق، ص 108.

[4] إيف بونو ،مجازر استعمارية ،تر ابو العيد دودو ،مراجعة عبد المجيد سالمي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،2014،ص ص18-19.

وكان يرى أن السكان الناجين من الغارات ما إن تمر مرحلة العنف الضرورية تلك ،سيأتون مزعنين ويتقربون بأنفسهم بمرور الزمن من المستعمرين طمعا في أسواقهم ,إنها اللبيرالية بحد السيف.[1]

أضاف توكفيل يقول : "... أنه كان ينبغي تدمير المدينة في الأقاليم التي لم يتم التحكم فيها ... "

كما أشار كذلك بأنه لم يكن بالإمكان ولا من الواجب منح نفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون للأهالي وهو ما أعطى واحدة من مميزات النظام العسكري ،إن دولة القانون القائمة في أروبا بالاقتراع العام والحر والفصل بين السلطات وضمان الحريات الأساسية وحماية الفرد.[2]

حيث يطلعنا توكفيل عن تلك الممارسات في كتابه "عمل حول الجزائر" الذي كتبه سنة 1841 يروي فيه أن معظم الجنود الذين صادفهم في المستعمرة يحرضون جنودهم لكي لا يشفقون على أحد حيث كتب قائلا :"...و بالنسبة لي ،لقد فهمت في افريقيا شيئا يؤسفني كثيرا وهو أننا نقوم بالحرب بوحشية أكبر من العرب ،لقد كان العرب واعون بأن تلك الفترة الأفعال خارجة عن الممارسات التقليدية "[3] ،ففي جوان 1846أي بعد الأحداث التي انتقدها توكفيل جاء دور لاماترين للتنديد بأفعال مماثلة على منبر المجلس الوطني، و في الحقيقة لم يفعل سوى قراءة جريدة المرشد الجزائري التي سردت أحداث 18 ماي 1845 " ...وفي قرية من جبال جرجرة قتل بالسيف كل العرب الذين خرجوا للمعركة أما باقي السكان فقد أحرقوا في منازلهم". [4]

---

[1] نفسه،ص ص18-19.

[2] كلود ليوز ،العنف و التعذيب و الاستعمار من أجل الذاكرة الجماعية ،تر مجموعة من الاساتذة ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2013 ،ص ص 155-157 .

[3] غرانميزون ،الاستعمار، المرجع السابق ،ص227

[4] نفسه ،ص 228.

3. الإبادة الجماعية :

لقد اعتبر الضباط الفرنسيين العسكرين و أعضاء الحكومة أن الإبادة الجماعية من الممارسات الضرورية لتسهيل توسعها، من بين الجنرالات الذين اعتمدوا على أسلوب المحرقة بيجو ،بولينياك و سانت آرنو فيما تعتبر مجازر حديثة تخضع بدورها لنظام الحكم السياسي. [1]

و حسب المصادر الفرنسية فإن عدد السكان في 1830 قدر بحوالي 3 ملايين ،بينما أرجعها حمدان خوجة بحكم ترأس مناصب عليا الى 10 ملايين ،وتقلص هذا العدد بسبب مجاعة سنتي 1867 – 1868 نتيجة إتباع سياسة الأرض المحروقة مما يدل أن عملية الإبادة الجماعية[2] كانت أكثر وحشية ،في حين يرى أحد المؤرخين الفرنسيين أنه ليس هناك مدينة في العالم قد شهدت الفوضى والاحتلال كالجزائر ،فقد اختطفت الحلق والسلاسل والصواري والأخشاب من الميناء وغلقت أبواب المحلات العامة ونهبت الأموال والأثاث والحلي من المنازل وكثر الإعتداء على الأشخاص والأعراض وزاد الأمر سوءا عندما ترك بورمون الأمور إلى قائد الأركان و إلى المسؤولين ،وكلاهما غير قادر على ممارسته أي سلطة . لنستنتج أن الشعب الجزائري تجرع المر من خلال الممارسات الفرنسية الابتزازية والظروف الصعبة التي أدت الى تناقص كبير في التركيبة السكانية لنصل إلى مصطلح آخر وهو الابادة الجماعية[3].

سنحاول في هذا المقام التحدث عن الجرائم الفرنسية التي إرتكبها جنود و قادة تميزوا بالقسوة و الجبروت في سياستهم مع الأهالي فكل ما سوف نعرضه من جرائم كانت الأبشع على يد كل من سانت ارنو و بيجو و دروفيقو خلال فترة حكم كل واحد منهم .

---

[1] نفسه ،ص ص 177-178

[2] جرائم الإبادة الجماعية أو جرائم إبادة الجنس البشري أو جرائم إبادة الجنس كلها تعبيرات عن معنى واحد ولقد وصف "جرافن" جريمة الإبادة على أنها أهم الجرائم التي أرتكبت ضد الإنسانية بأحلى معانيها ،فنجد أن السفاحين أو الجنود يقومون بإبادة جماعية بدون ذنب يحتسب سوى أنهم ينتمون إلى جماعة قومية أو جنس أو دين يخالف قومية أو جنس أو دين القتلة . انظر ،ا.م زياد ربيع،جرائم الإبادة الجماعية ، دراسات دولية ،العدد59،ص104 .

[3] عمار عمورة ،موجز تاريخ الجزائر ،ط 1 ،دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002، ص 117 .

عرفت القوات الفرنسية بممارسات عسكرية شنعاء و راح ضحيتها أفراد و قبائل لا علاقة لها بالسياسة الاستعمارية، فهدفهم هو القضاء على الكيان الجزائري و من خلال هذا نجد الجنرال بيليسيي الذي اعتمد على أسلوب المحرقة و تبعه سانت آرنو.

يعتبر اسلوب المحرقة الذي اتبعه سانت آرنو من الممارسات التي تعد وسيلة لترهيب الأهالي

و إجبارهم على الهروب أو الاستسلام، و هذا ما يبرز مهمة وحدة الممارسات التي تطورت مع مرور الزمن ، فالعرب دوما حيوانات تستهل الموت كالثعالب مخنوقة داخل الكهوف حسب تصريح بيجو فالتصور يبيح الممارسة و الممارسة تبيح التصور. [1]

وفي الحديث عن الجرائم الجماعية لا ننسي السفاح سانت آرنو الذي يقول في إحدى رسائله : "...إن بني سناسن جميلة الغاية وهي أغنى قطعة أرض في القارة الإفريقية ،الناس فيها يسكنون قرى متجاورة ...قد أحرقنا كل شيء ودمرنا كل ما يتعرض سبلنا ما أسوء الحرب ,ما أسوء الحرب كم من نساء وأطفال فروا منا والتجأوا إلى جبال الأطلس المغطاة بالثلوج ...وهناك ماتوا جميعا من جراء البرد والعرى والبؤس... ".[2]

ربما لا يوجد مصطلح يعطي المعنى الحقيقي للوحشية الاستعمارية حيث يروى الضابط المراسل سانت آرنو كذلك : "... إن بلاد بني مناصر رائعة ،لقد أحرقنا كل شيء آه من الحرب كم من نساء وأطفال هربوا منا إلى ثلوج الأطلس ماتوا بالبرد والجوع 17أفريل 1842 ،إننا ننهب البيوت ونحرق الشجر المثمر ،أنا على رأس جيشي أحرق الدواوير والأكواخ ونفرغ المطامير من الحبوب ونرسل لمركزنا في مليانة القمح والشعير 5أكتوبر1842.. ".[3]

ليؤكد ذلك آلم ديوراید في كتابه تاريخ الجزائر "جرد الجنرال شانغانييه حملة على القبائل المعادية لفرنسا في شهر أكتوبر سنة 1836 لتأديب القبائل العربية القاطنة بين قرى الأحراش وبورقيقة

[1] غرانميزون،الاستعمار، المرجع السابق ، ص179.

[2] الصديق ,المرجع السابق ,ص55 .

[3] طرشون ،المرجع السابق ، ص17.

...وبعد إبادة هذه القرى عن بكرة أبيها عادت الحملة بالغنائم و الأسلاب ،ولقد باع الجيش الفرنسي مواشي العرب كلها إلى قنصل الدنمارك في الجزائر".[1] غير أن الكموندون ويستي فقد كتب 1841 "إن عدد الدواوير التي أحرقت والمحاصيل الزراعية التي أتلفت ,لايكاد يصدق ,فلم يكن أحد يرى على الجانبين من الطابور سوى النيران" . في حين يقول بيدرو كاستيلان " مكثنا عدة أيام في مخيمنا العسكري ونحن خلال تلك المدة نتلف أشجار التين والمحاصيل الزراعية ولم نغادر المنطقة إلا بعد أن خربناها تماما ...وبذلك أعطينا درسا قاسيا لهؤلاء السكان العرب لا يخضون إلا بالقوة الغاشمة "[2].

و في رسالة اخرى قال ايضا : "...وفي نفس الوقت قمت بعملية استطلاع في المغارات بل الكهوف[3] التي يبلغ إمتدادها مائتي متر ولها خمس مداخل ،استقبلنا بطلقات البنادق ولقد فوجئت بذلك إلى درجة أني أديت واجب التحية بكل احترام لبعض الرصاصات ولم يكن ذلك من الطبيعي ،وفي نفس الأمسية تم تطويق الغارات من طرف الفرق الثالثة والخامسة تحت وابل نيران العدو ،فتكبدنا جريحا واحد بفضل التدابير الصارمة ،في يوم وتم الشروع في فرض الحصار وسد المنافذ وزرع الألغام وإرسال الإنذارات والإلحاح والترجي بالخروج والاستسلام عبارات سب شتم وطلقات البنادق. تم إضرام النار في يومي 10-11تكررت نفس العملية في يوم 11خرج أحد العرب من المغارة وطلب من نظرائه أن يفعلوا مثله ولكنهم رفضوا ،في يوم 12خرج إحدى عشر عربيا أما البقية فقد اكتفوا بأمري [4] بسد جميع مداخل المغارة أنشئت مقبرة واسعة سوف تطيق الأرض إلى الأبد على الجثث أولئك المعتصمين ولن ينزل إلى تلك المغارة ".

---

[1] محمد صالح الصديق ,المرجع السابق ,ص56-57.

[2] الأشرف ،المرجع السابق، ص ص 108-109.

[3] ارتكب سانت آرنو محرقة اخرى ضد قبيلة اختبأت في إحدى الكهوف و عندما لاحظ فرارهم و مكان توجههم قرر بصفة طبيعية و يروي بنفسه دقائق العملية بكل منهجية و تأن كبير طاف حول المكان ليتعرف على كل مداخله و مخارجه ، بعدها طلب من المحاصرين الاستسلام و عندما تحقق من عدم رغبتهم في ذلك أمر بإضرام النيران و يحكي ذلك في رسالة لأخيه "فأحكمت غلق كل المنافذ و جعلت من ذلك المكان مقبرة لخمسمائة لص و متطرف لن يذبحوا الفرنسيين بعدها ، لم ينزل احد في تلك الكهوف ولا احد غيري يعلم ذلك " .انظر، غرانميزون ، الاستعمار ،المرجع السابق ، ص ص 180-181 .

[4] مسبيرو، المصدر السابق،ص 243

1.3–نماذج عن الابادة الجماعية :

1–إبادة سكان قبيلة العوفية 1834:

عرفت هذه الإبادة الدموية بمجزرة العوفية بقيادة الدوق دو روفيقو Duc de Rovigo [1] في حق القبيلة العربية التي انفصلت في منطقة وادي الحراش ،حيث التحق عدد كبير من هذه القبائل بقوات الحاج أحمد باي واتجهت نحو قسنطينة بعد معركة سطاوالي ,كما أن قبيلة العوفية من قبائل متيجة التي قاومت الاحتلال منذ البداية ،وبهذا الدافع ارتكب دو روفيقو أول عمل إجرامي في حقها ،وكان ذلك في 07أفريل 1830 ،حيث وصل عدد الأفراد التي تم إبادتهم حوالي 12ألف نسمة ،وليبرر جريمته الشنعاء ادعى أن هذه القبيلة هي التي اعتدت على البعثة التي أرسلها فرحات بن سعيد من بسكرة إلى الكونت دو روفيقو بالجزائر العاصمة وهو إتهام لا الأساس له من الصحة لكون القبيلة كانت بريئة من السرقة. [2]

تم إلقاء القبض على شيخ القبيلة الربيعة وقد حوكم محاكمة صورية و تم إعدامه، رغم أن التهمة لم تثبت عليه و لا على قبيلته ،و الأبشع من ذلك قطع رأس الشيخ الربيعة وحملت هدية إلى الدوق دو رفيقو فقام هذا الأخير بالتبرع برأسه و رأس أحد أفراد قبيلة إلى طبيب يدعي بونافون –Pouna Foun ليجري تجربة علمية عليها ،ليتوصل إلى مجادلة بأن الانسان يفتقد الحياة مباشرة بعد قطع رأسه فالتجربة كانت لإشباع غريزة طبيب. [3]

---

[1] الدوق دروفيقو من مواليد بفانذراغ بفرنسا 24 ماي 1778 شارك في معركة واترلو وجاء إلى الجزائر في 20 فبراير 1831 تولي منصب حاكما عام خلفا للجنرال كلوزيل، عزل في منتصف ديسمبر 1831 مشبعا بروح الانتقام وحب القتال فجاء بستة ألف جندي نيتها القضاء على حركة المقاومة الشعبية، فاستعمل في سياسته المكر و المصانعة و هو شخص يؤمن بسياسة العنف و البطش ،ارتبط اسمه بسفك دماء الأبرياء و القتل الجماعي يذكر المؤرخ كاميل روسي أن دو روفيقو جاء الى الجزائر بمؤهلات تبعث الثقة في النفوس لاستعمال سياسة الظلم و القوة فقد جاء بشيئين : الأول الوسائل التعسفية و الثانية العقلية الاستعمارية .انظر، عاشور مرزاقة ،جرائم فرنسا في الجزائر –الابادة الجماعية – أنموذجا 1830 1849، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،إشراف العقبي الأزهر،جامعة بسكرة ،2013–2014،ص ص 47–48.

[2] بوضرساية بوعزة و آخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19مسلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، ص 123 .

[3] مرزاقة ، المرجع السابق،ص 51

لكن هذه الجريمة اشعلت المنطقة كلها بنار الانتقام و حفزت روح المقاومة حتى أن سكان متيجة قاموا في نفس العام بذبح 25 رجلا من اللفيف الاجنبي وقد عجز دو روفيقو عن متابعة الثوار هناك.[1]

يقول عالم النبات الألماني شيمبر Chimpar 1804-1878 عن هذه المجزرة مايلي" لقد حدثني أحد السفاحين الذين شاركوا في مؤخرة الخيمة في كبرياء و قال "كان هناك طفلا واقفا في مؤخرة الخيمة فصحت به أخرج يا حقير و إلا فسوف أطلق رصاص في فمك، ولكن البهيمة لم يصغ لأنه لم يفهم اللغة الفرنسية وعندما ضغطت على الزناد طار نصف رأسه و تعلق بكتان الخيمة...".[2]

إن سياسة دو روفيقو كانت سياسة بوليسية جائرة ففرض على السكان غرامات كما قام بالإستيلاء على المؤسسات الدينية و قام بذبح القبيلة على آخرها أثناء نومها.[3]

2 –إبادة سكان قبيلة أولاد رياح 1845:

وقعت هذه المجزرة في عهد بيجوBugeaud [4] 19 جوان 1845 نفذها العقيد ببليسيي Pélissier[5] ضد سكان الظهرة والونشريس فأعطى الأوامر بالتجمع ضد القبائل للقضاء على الشريف بومعزة [6]، و لقد أمر الماريشال بيجو القوات الفرنسية بقيادة سانت آرنو Saint Arnaud

---

[1] سعد الله، الحركة الوطنية ،المرجع السابق ، ص 50.

[2] مرزاقة ، المرجع السابق ، ص51.

[3] نفسه ص 50.

[4] ولد بيجو Bujeaudفي لمبوج عام 1784 وقد قضي طفولته و شبابه في الملكية العائلية بلادورانتي ،كان ينتمي الي عائلة ميسورة الحال من نبلاء الريف كانت تمتهن حرفة الحدادة وقد عاش بيجو حياة مزارع بسيط اكثر منها حياة ابن نبيل كان يكره المثقفين كما تميز بخشونته و انعدام الرقة لديه Charles-Adres Julien, histoire de lAlgerie comtemp oraine la comquete et les debuts de la colonisation 1827-1871, CASBAH Edition ,Alger 2005p p 164-165

[5]هو جنرال فرنسي من مواليد 1802 بباريس عمل في الجزائر و أصبح حاكما لها ، قضى على ثورة 1848 بفرنسا أصبح نائبا لها ثم وزير الحربية توفي سنة 1857. انظر، مرزاقة، المرجع السابق،ص 57.

[6]الشريف محمد بن عبد الله المدعو (بومعزة) يعود أصله الى جنوب المغرب الأقصى ، ولد عام 1822 أعلن الجهاد ضد الفرنسيين في15 افريل 1845 خاض عدة معارك ضد الطوابير المتنقلة بقيادة سانت ارنو و بيليسيي، ألقي عليه القبض في 13 أفريل 1847 و اودع السجن بباريس 5 ماي 1847 أطلق سراحه نابليون الثالث بداية 1853.انظر،مرزاقة،المرجع السابق،ص57.

و بيليسيPélissier و العقيد لادميرو Admirons بمعاقبة قبائل الظهرة [1]،التي انضمت إلى مقاومة بومعزة ،وفي خضم هذه الأحداث فرّ سكان الفراشيش ومعهم حيواناتهم وأغراضهم في وقت ينتظرون فيه إنسحاب القوات الفرنسية. [2]

لكن العقيد بيليسيي طاردهم حتى عين المكان وأمر جنوده بسد الغار بالأخشاب وإضرام النار فيه حتى يختنق الأهالي ويموتون ،وفي صبيحة 20جوان 1845 وجدوا الأغلبية الساحقة قد ماتوا في هذه المجزرة التي راح ضحيتها ألف شخص .[3] يقول بيليسي :"لهذه الأسباب بالذات و على الإطلاق أود أن أتخذ سياسة شديدة الصرامة مع الأهالي تترجمها أعمال مثل ما حدث في الظهرة و مثل الغارات ... ". [4]

و تذكر أحد الروايات "... قبل طلوع النهار بنحو ساعة وقع إنفجار مهول في قلب الغار و كان ذلك إعلانا باختناق ما يزيد عن ألف شخص في ذلك الغار الذي تحاصره النيران و الدخان... "، أما أحد الجنود فيصف بشاعة المنظر و يقول "...أن القلم العاجز عن وصف هذا المنظر الفظيع في منتصف الليل و القمر سدى علينا أنواره ، كنا نرى كتيبة من الجيش منهمكة في إضرام سعير جهنمي و كنا نسمع و ياله من صوت رهيب أنينا خافتا منخفضا، يتصاعد مريعا من صدور النساء و الرجال و البهائم ...وفي غياهب تلك الليلة الحالكة اشتبك الرجال و البهائم في عراك رهيب متنازعين عن شيئ من الهواء المطلق". [5]

---

[1] قبيلة ولاد رياح تقع شرق مستغانم و بالتحديد بلدية النقارية التي توجد بها جبال شامخة تسمي الظهرة فطرقها الوعرة تؤدي الي غار الفراشيش فهو عبارة عن حصن طبيعي فان تمكن الثوار المسلون من مداخيله فانهم يضلون اسياد الموقف بسهولة و له مدخلين الرئيسي في الجنوب الغربي من الجبل و الثاني من حهة الجنوب الشرقي و عمقه 200 متر. انظر، مرزاقة،المرجع السابق، ص 58 .

[2] بن يوسف تلمساني ، التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870 ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،إشراف يوسف مناصرية، جامعة الجزائر، 2005/2004 ،ص ص412-413 .

[3] نفسه، ص 41 .

[4] غرانميزون،الاستعمار، لمرجع السابق، ص 183 .

[5] مرزاقة، المرجع السابق ، ص 60

حاولت الإدارة الفرنسية التقليل من شأنها والتعميم عليها حيث رفع تقرير[1] في 22 جوان إلى بيجو لإعطائه مبررات عن فعلته الشنعاء بتحميلهم المسؤولية على استفزازاتهم بإطلاق النار على جنده.[2]

في هذا الصدد أشار أندري جوليان أنه وحسب العادة كانت تمنح علاوة لكل فرنسي يأتي برأس مقطوعة ،إذ أن الجندي كان فخورا بعمل كهذا و ذلك بعد التحية يفتح الجندي محفظته و يخرج رأسا ينزف دما و يلقيه على الأرض أمام أرجل الجنرال ،و كان بيجو دون أن يبدي أي علامة إشمئزاز يقول له" أنت بطل شجاع" ،و عندما يقوم بإخراج الرأس الثاني يقول له "انت شجاع جدا ".[3]

كان التمثيل بهدف نزع صفة الإنسانية بما أن الجثة بدون رأس شيئ مجهول الهوية و قبيح فلا أحد يبكى عليه، فقد كانت هذه الممارسات شائعة جدا و مستحبة و يحظى أصحابها بجوائز وترقيات ، فقد كانت سياسة ترهيب عامة ضد المدنيين في المستعمرة و بعلم السلطات في الجزائر أو فرنسا.[4]

---

[1] تقرير رسمي كتبه بيليسيي عن الجريمة و ارسله من خلال بوجو الي وزير الحربية قد اخفاه عن زملاءه و عن البرلمان بعض الوقت حتى تهدا العاصفة التي اثارها فقد تحدث عن اكثر من 500 شخص، فهذا الرقم فيه الاطفال الرضع الذين كانوا ملتصقين بأثداء امهاتهم واهل عدد الجثث التي كانت فوق بعضا فهو فضع لم يحدث مثله في التاريخ، فقد هاجت الحيوانات داخل الغار و جثث الاطفال و النساء ،ولقد كانت الجثث عريانة دليلا علي الاضطراب و الانتفاض العنيف الذي اصابها قبل الموت ،و رغم ذلك نجد الجنود قد حاولوا سرقة مابقي من االجلود.انظر، ابو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،المرجع السابق،ص 230.
انظر الملحق رقم : (05) ،ص85.

[2] تلمساني ، المرجع السابق،ص ص412-413 .

[3] Julien ,op cit ,p p 165-166.
انظر الملحق رقم (06) ،ص 86.

[4] غرانميزون ،الاستعمار، المرجع السابق ،ص 201 .

2.3– تدنيس المقدسات :

عندما ينجزون طريقا أو جسرا لا يتردد المهندسون في تدنيس التراب الذي دفن فيه الموتى دون أدنى احترام للمقابر ، و ما يفاجئنا أكثر هو أن بقايا بشرية استعملت في تصنيع "الفحم الحيواني. "[1]

بعد استقرار الفرنسيين وصل إلى الجزائر عد كبير من الأجانب المعوزين الذين كانوا يأملون الاستفادة من الوضعية التي كانت تعيشها الجزائر ،ومن ضمن هؤلاء المالطيون و المسيحيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من عربية الجزائر ،و كانوا يتأملون كسب معيشتهم و ذلك من خلال استغلال القبور .[2]

لقد دخلت فرنسا الجزائر بموجب معاهدة نصت على مجموعة من الشروط التي لم تحترمها فرنسا كحفر الأضرحة والمقابر والعبث بالعظام وإرسالها إلى مرسيليا من أجل صنع فحم الحيوان،[3] عرض هؤلاء المالطيون خدماتهم على رجال الصناعة في مارسيليا و الذين كانوا يحتاجون إلى فحم العظام لتبييض السكر[4]، و قد أظهروا استعدادهم لإرسال عظام الحيوانات التي يحتاجونها ،و لتستكمل حمولة البواخر بأقل التكاليف كانوا يجمعون العظام البشرية. [5]

اعتمد الفرنسيون على الجزائر في عملية الإبادة الجماعية و التقتيل الفردي مع سبق الاصرار و الترصد ،نفذتها أجهزة و مؤسسات نظامية رسمية تشهد عليها الوثائق الأرشيفية الرسمية، فالفرنسيون اعتمدوا على سياسة متكاملة متناسقة عملت تلك السياسة بكل مقتضياتها على ضرورة الاحتفاظ

---

[1] نفسه ، ص 214

[2] عبد الجليل التميمي ،المجلة التاريخية المغربية ، العدد1 ،مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، جانفي، 1974، ص 10 .

[3] عمار بن تومي ، الجريمة و الفضاعة ، تر عبد السلام عزيزي و بشير بولفراق ، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2013، ص35

[4] ان عملية تصفية السكر الموجودة لدينا سوف تكون مهددة بشعور الإشمئزاز و الكره الذي أخذ باستعمال أحد المواد البشرية لغرض الجودة و سوف يمتد شعور الكراهية و الإشمئزاز إلى بقية المدن التي تحولت من مصانعنا ،إن السياسة الاستعمارية في الجزائر ستكون أكثر جدوى إذا كانت أكثر لطفا مع أعدائنا العرب و البدو الذين وصل إلى علمهم أخذ رفات أبائهم و سيكونون اليوم في حالة تعصب ديني يدفعهم إلى القضاء على المساجيين الفرنسيين و تقطيعهم . انظر، التميمي ، المرجع السابق ، ص 10

[5] نفسه ، ص 10

بالجزائر ولو بطلب إبادة كل الأهالي و الغاية عندهم تبرر الوسيلة ،غير أن الضمير الفرنسي لم ينزعج و لم يستمع للتنديدات التي قامت بها السلطات الفرنسية في بعض الأحيان .

في هذا الصدد يقول محفوظ قداش عن عظام جثث الجزائرين تصريح السيد سبيغو[1] في 1مارس 1833: "لقد علمت في الشارع أن من بين العظام التي تستعمل في صناعة الفحم الحيواني توجد عظام للنوع البشري، فعلى متن البومبارد لابون جوزيفين القادمة من مدينة الجزائر المحملة بالعظام ،قد تعرفت على العديد من العظام تنتمي إلى الهيكل البشري، لقد رأيت جماجم وعظام، الزنود الأفخاض من النوع الكهلى و قدتم استخراجها حديثا من القبور و لم تكن خالية من اللحم بصفة نهائية ". مركز المراقبة البحرية مرسيليا 23 مارس 1833 مذكور من طرف ديجويار. [2]

و عليه أمر وزير الحربية الوكيل المدني جونتيل دوبوسي أن يجرى تحقيق في الجزائر و أن يتخذ الإجراءات الفعالة لوقف هذه التجارة إذا ما ثبت صحة ذلك "لقد أعطيت أمرا بإخلاء مخازن التجارة من العظام التي أكتشفت هناك " ،على أي حال قام بذلك خوفا من الفضيحة كما وعد بإنشاء مقابر حسب الجنسيات وكل مقبرة في مدينة و يجب أن تكون خارجة عن المناطق الحربية حتى تتفادى مضار الأعمال العسكرية. [3]

وفي هذا الصدد تحدث بوضرساية عن الجرائم الدينية التي مست الأضرحة و القبور[4] لتشوية الجثث و التمثيل بها فأعطي أسماء مجموعة من المقابر و الأضرحة التي تم التلاعب بها منها :

-ضريح سيدي بوحمة هو الآخر تم هدمه لتوسيع الطريق العام بمحاذة باب عزون .

-ضريح سيدي بوقدور الذي يعود تاريخه الى القرن 16 هو الآخر تعرض للتشويه .

-ضريح سيدي أوجامي المتوفي عام 1556 تعرض مكانه إلى السطو من طرف الدرك في الإحتلال.

---

[1] هو دكتور في الطب بمرسيليا.

[2] محفوظ قداش، جزائر الجزائرين تاريخ الجزائر 1830-1954 ،تر محمد معراج ،د ط ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر و الإشهار ، الجزائر 2008،ص 41 .

[3] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 10

[4] أما مسألة فتح القبور فقد اصبحت من طرف الاشرار المسحين و اليهود حيث كانوا يترددون لأخذ الأحجار الثمينة او العظام التي يرسلونها لصناعة الفحم بمصانع مارسيليا غير أن الوزير يؤكد أن هذه التجارة سوف تخضع لمراقبة أكثر فعالية و سوف يعاقب مرتكبوها أشد العقاب .انظر، التميمي ،المرجع السابق، ص 11.

- ضريح سيدي الطيب حول مكانه الى حديقة ومازالت موجودة إلى اليوم عند مدخل باب الوادي تسمى حديقة مانغو. [1]

[1] بوعزة ،الجرائم الفرنسية ،المرجع السابق ،ص 160.

المبحث الثالث:

الممارسات الاقتصادية و الاجتماعية.

1-السياسة الاستيطانية.

2-مصادرة الأراضي.

3-تأثير الاستعمار على الأوضاع الاجتماعية.

لقد كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية في مجملها تهدف الى محو وجود الامة الجزائرية والسيطرة على الجزائر ، إذ أن فرنسا انتهجت العديد من السياسات و الأساليب المختلفة في شتى الميادين ، و عليه فإن الاحتلال الفرنسي انتهج عدة سياسات من غير أسلوب القوة و من أهمها تشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر قصد تحويلها إلى مستعمرة استيطانية .

إن بداية هذه الظاهرة الخطيرة ذات الطابع الاجتماعي كانت مع الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر عام 1830 ، و قد استمرت مع بقاء الاحتلال رغم المقاومة التي أبداها المجتمع الجزائري ضدها ، و التي حاولت إلى حد ما عرقلة انتشارها عبر التراب الجزائري .

كما أن الاستعمار الفرنسي لجأ إلى مصادرة الأراضي وفق خطة صليبية ماكرة ،بالإضافة إلى مصادرة مواشيهم التي كانت مصدر أرزاقهم و كان المستعمر الفرنسي يهدف من جراء هذه السياسة إلى تهجير الجزائريين الأرياف بعد الاستحواذ على أراضيهم و النفي كذلك إ الخارج مثل كاليدونيا الجديدة و إبادتهم بوسائله الجهنمية و غير الانسانية .

و عليه فإن السياسات التي جسدتها السلطات الاستعمارية على أرض الجزائر ، كانت من أخطر العوامل التي أثرت تأثيرا مباشرا على التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري ، كما أثرت كذلك على مختلف الجوانب الأخرى إذ أن الجزائري صودرت أراضيه و تم نفيه و تهجيره داخليا و خارجيا ، و حل محله الأوروبي الذي أصبح يتمتع بكامل الحقوق .

1. السياسة الاستيطانية :

يقول بورمون De Bourmont" أن الأمر متعلق بتشييد مستعمرات استيطانية صافية إن كان من الجانب العرقي أم الديني ولن يسكنها سوى السكان الأوربيين ....." .[1]وفي هذا الصدد أشار الدكتور إبراهيم مياسي إلى أن الاستيطان الفرنسي [2]في الجزائر لم يكن مجرد الاستيلاء على حوال خمسة ملايين هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة والغابات من بين حوالي سبعة ملايين هكتار

[1] غرانميزون ، الاستعمار ، المرجع السابق ،ص140 .

[2] حينما تم احتلال مدينة الجزائر إنقض على البلاد مجموعة من البشر المتوحشين وأقدموا على احتكار الأراضي وقطع الغابات والمتاجرة بأبنية المدن . أنظر شارل روبير أجيرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترعيسى عصفور،ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس 1982، ص41.

، بل أن الأمر امتد إلى أخطر من ذلك فكان الاستيلاء على أراضي السكان الأصليين الجزائريين هو المظهر المادي الواضح للاستيطان.[1]

ذلك أن الفكر الإستعماري منذ البداية ولغاية 1842 كان يرى أن الاحتفاظ بالجزائر لا يتحقق إلا إذا أتم احتلال أراضيها الزراعية وتثبيت مستوطنيين بها ، وعليه وجود فرنسا في الجزائر والاحتفاظ بها يبقى مؤقتا إذا لم يتحقق هذا الشرط . كما أن عدم امتلاك فرنسا لأراضي زراعية والإستقرار بها يعتبر خطر يهدد وجود ما في الجزائر ، ولذلك فإن امتلاك الأراضي الزراعية يبقى هو الضمان الوحيد للاستيطان وأنه لامعنى للاستيطان دون امتلاك للأراضي .[2]

و من وجهة نظر اقتصادية فإن الشرط الأول لنجاح الاستيطان وازدهاره يرتبط بوجود أراضي زراعية خصبة وشاسعة ، وبنظام يقوم على انتقال الأراضي من أصحابها الأصليين إلى المستوطنيين بطريقة سهلة ونهائية [3]

كانت السياسة الإستعمارية تهدف إلى محو وجود الأمة الجزائرية فكان العمود الفقري لهذه السياسة هو الاستيطان على أوسع نطاق والإستغلال إلى أبعد الحدود ، وقد واكبت حركة الاستيطان مرحلتين الأولى " الإحتلال الضيق الذي انحصر في المناطق الشمالية لكن تخوف فرنسا من تنامي قوة الأمير عبد القادر واجبارها على الاعتراف تجد قوة جعلها تعيد النظر في سياستها الاستيطانية .[4]

أما مرحلة الاحتلال الشامل التي ساعدت على انتشار حركة الاستيطان في باقي المناطق إلى جانب الدعم المالي والمعنوي ،وعلى هذا استطاع الاستيطان الفرنسي أن يحصل في أقل من ثلاثين عاما من 1871 الى 1897 تقريبا على مليون هكتار، في حين لم يحصل من عام 1830-

---

[1] ابراهيم مياسي ، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2007، ص ص 121-122 .

[2] عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأراضي إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962 ،ج 1 ،ط1 المؤلفات للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013، ص ص 40-41 .

[3] نفسه ، ص44 .

[4] دليلة بوجناح ، الفكر الاستعماري الفرنسي وتطوره خلال القرن التاسع عشر من خلال النظريات والممارسات ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث ، إشراف الغالي الغربي، الجزائر، 2011/2010، ص ص142-143 .

1870 إلا على 481000 هكتار ،غير أن المواطنيين الذين تمثلوا في أولئك المتشردين أو المزارعين الذين كان هدفهم الزراعة التي كانت في نظرهم مشروع أكثر من نمط عيش، لنصل إلى الاستيطان في 1930 لم يعد سوى مشروع لموظفين ، ولما كان الاستيطان الريفي منصرف إلى توسيع الزراعات الرابحة التي تعرف تصديرا قويا .[1]

1.1–أشكال الاستيطان الفرنسي في الجزائر :

1 – الاستيطان الرسمي :

لقد اقترح (م–ستوكمار) M–Stokmar على إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر جلب التيروليين [2]إلى الجزائر وذلك من أجل تشغيلهم في المشاريع الزراعية ، وكذلك العقيد "مارانقو" Marengo الذي سخر المحكوم عليهم من السجناء للقيام بأعمال الاستصلاح والتشجير في ضواحي العاصمة ، وبذلك تمكنت إدارة الاحتلال من بناء المستوطنات والضيعات وحققت فوائد وأرباحا للاستعمار.

لقد تم تسمية الكولون[3]الأوائل بـ" كولون الحكومة (les colons du gouvernement) ،ذلك لأن الحكومة الفرنسية هي التي تكفلت بنقلهم إلى الجزائر ووفرت لهم كل الحاجيات الضرورية التي تسمح لهم بممارسه النشاط الزراعي .وقد تم وضع كل مجموعة منهم تحت إمرة رئيس مجموعة تكون له خبرة في شؤون الزراعة ، وبعد خمس سنوات يتم تسليم قطعة أرضية زراعية بصفة ملكية فردية شرعية –مسجلة – لكل واحد من الكولون يشغلها بشكل استقلالي ، ومن ثم إعفاء تلك الأراضي من الضريبة لمدة خمس سنوات وفي العام السادس يدفع الكولون لإدارة الإحتلال القسمة الواحدة والعشرين (20/1) من دخله الخام تعويضا للخدمات المقدمة له خلال عشر سنوات [4] .

---

[1] أجيرون ،تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص ص87–92.

[2] التيروليون: هم سكان بلاد التيرول ذات الطبيعة الجبلية في النمسا يتميزون بتحمل الأتعاب والمشاق ، وقد استخدمتهم ألمانيا والنمسا في مشاريع عمرانية وزراعية . انظر ،بن داهة بن عدة ، المرجع السابق، ص 46 .

[3] الكولون في نظر العامة هو المعمر المهاجر من اوربا الى الجزائر الذي يعيش في خدمة الارض و يستوطن الريف ،و له معنى اوسع فهو يشمل المزارع و الفلاح المشتغل بتربية الحيوان.انظر ، بن داهة ، المرجع السابق ،ص 45.

[4] نفسه ، ص ص 46–48.

أما بالنسبة لأبناء الكولون الأوائل والذين بلغوا سن أربعة عشر سنة قامت إدارة الاحتلال على تنظيمهم في ميليشيات تتلقى تدريبات عسكرية كاستعمال السلاح تحت قيادة ضابط عسكري ، وعند بلوغهم سن السابعة عشر يجندون ضمن ميليشيا حقيقة لها جميع إطاراتها .

تلك هي خطة الاستعمار الرسمي في مرحلتها الأولى والتي اعتمدت ركائزها على بناء القرى والمراكز الاستيطانية[1] وإصلاح الأراضي من طرف الفرنسين ،وذلك ليتم تهجير المستوطنين من فرنسا وأوربا إلى الجزائر وإخضاعهم للعمل الجماعي لمدة خمس سنوات ليصبحون فيما بعد ملاك حقيقيين .

وعليه فإن العسكريون يعتبرون بمثابة العنصر الفعال في عملية الاستيطان ، فهم من لعبوا الدور الاقتصادي والعسكري في تحضير الأراضي الزارعية للكولون المدنيين ،كما أن أولى محاولات الاستيطان الرسمي كانت سنة 1834، وذلك من خلال وصول سفينة محملة ب 400 مهاجر ألماني وسويسري تم توزيع عائلاتهم على مناطق مختلفة في مدينة الجزائر ، بالإضافة إلى تزويدهم بالأراضي الزراعية ، كما أن مرسوم 22 جويلية 1834 هو الذي من خلاله تأكدت الرغبة الجامحة لفرنسا في استيطان الجزائر و ذلك من خلال إلحاق الجزائر بفرنسا وتشجيع الهجرة. [2]

2-الاستيطان الحر " التلقائي " :

لقد جاء الاستيطان الحر كتكملة للاستيطان الرسمي والذي كان يمارس من قبل مستوطنين أحرار، ورغم أنه لم يحقق نجاحا باهرا في البداية إلا أنه شيئا فشيئا اتخذ مكانه إلى جانب الاستيطان الرسمي ليتحول بذلك إلى أداة رئيسية للغزو الاقتصادي في الجزائر ، وذلك من خلال ظهور عمليات للمتاجرة بالأراضي إذ أن هؤلاء المستوطنين الأحرار تمكنوا من شراء أراضي من الكولون الحكوميين الذين استفادوا منها عن طريق الاستيطان الرسمي ، وبذلك بدأ يظهر بما يعرف بالانتقال التدريجي لمساحات أرضية زراعية ورعوية من أيدي الفلاحين الجزائريين إلى أيدي الكولون الأحرار .

و عليه فإن الكولون الأحرار تمكنوا مابين سنتي (1841 – 1851) من الحصول على 200 هكتار أقاموا عليها 20 ضيعة ،كما أنهم وبعد سنة 1871 عملوا على توسيع مشاريعهم

---

[1] المركز الاستيطاني هو رمز للحضور الاوربي و للوجود الاستعماري في الجزائر ، و انشاء مثل هذه المراكز كان يتم بمقتضى قرار موقع من طرف الحاكم العام للجزائر .انظر ، بن داهة ،المرجع السابق ، ص 52.

[2] نفسه ، ص ص 48-51.

الزراعية الطموحة والتي كانت تهدف إلى تحقيق أكبر قدر من الزيادة وذلك عن طريق شراء المزيد من الأراضي من الفلاحين الجزائريين وعملوا على زرعها كروم هذا بالنسبة إلى ضواحي معسكر .

كما أن الأقاليم العسكرية كذلك لم تسلم من غزو المستوطنين الأحرار ،ذلك أن قسم وهران العسكري مابين سنتي 1852 – 1853 شهد اقامة عدة مستوطنات منها :

– قطاع الوحدة الزراعية بسيق .

– ضيعة "سان مور" بعربال جنوب شرقي وهران .

– ملكية" فرنكو فيل" بخميس .

– ضيعات "دوبوي "في المسيلة وتسميسيلت .[1]

ومن أجل تطبيق الاستيطان عملت الإدارة الاستعمارية على وضع تشريعات تسمح للكولون بالاستفادة من سكن عائلي ومن قطعة أراض زراعية ، وعليه فإن القرار الذي أصدره الحاكم العام بيجو في 18 أفريل 1841 والذي تضمن خمسة عشر مادة شرح بالتفصيل شروط الاستفادة من الأراضي الزراعية في الجزائر وكيفية إنشاء مراكز جديدة للاستيطان .[2]

بالإضافة إلى مرسوم 21 جويلية 1841 ، الذي نص في مادته الثانية على أن جميع الأراضي الشاغرة وغير المزروعة تعتبر أملاك عامة يمكن الاستفادة منها واستغلالها في تأسيس مدن وقرى وتجمعات سكنية .

وفي هذا الصدد وتنفيذا للمخطط الاستيطاني نظم الجنرال "بيجو " عملية الاستعمار العسكري ، فأوكل إلى العسكريين مهمة شق الطرقات وبناء الجسور والسكنات ... ،و من أمثلة ذلك الطريق الرابط بين وهران و معسكر و سعيدة ، و جسر الشلف و المقطع و مينا و يسر و التافنة و ملوية.[3]

حتى النساء شاركن في الاستيطان ، وذلك لأن إمرأة تدعى شوبوليف استطاعت أن تقيم مستوطنة شبيهة بالقرية تأوي 200 مزارع من أصل أوربي، ومنه نقول أن عملية الاستيطان الحر أوجدت لنا مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر :

---

[1] نفسه ، ص ص 85-86.

[2] نفسه ، ص 54.

[3] نفسه ، ص ص 55-57.

1- استيلاء الكولون في إطار الاستيطان الحر على مساحات من الأراضي الزراعية تقدر ب 54691 هكتار خلال 10 سنوات ضمن أراضي 32 بلدية وإقامة 869 منيعة .

2- ارتفاع النفقات التي غطت الحيوانات المزرعية والمعدات الفلاحية بهذه الضيعات إلى 5547820 فرنك .

وعليه فإن هذه النتائج تثبت لنا أن الاستيطان الحر لعب دورا فعالا في تنفيذ المشروع الاستيطاني الشامل لفرنسا في الجزائر وتهميش الجزائريين ويظهر لنا ذلك جليا من خلال عزوف بعض الكولون عن تشغيل الجزائريين في حقولهم الزراعية وذلك لعدة اعتبارات نذكر منها :

- إمتصاص المهاجرين الأوربيين الجدد .

- الاستغناء عن اليد العاملة الزارعية الجزائرية والتقليل من أهميتها لاعتقادهم أن الجزائريين غير محترفين في المجال الزراعي –لا سيما في زراعة الكروم-.[1]

2.1.أهداف السياسة الاستيطانية :

لقد كان للسياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر عدة أهداف نجملها فيما يلي :

1-أن الأوروبيون المتواجدين في الجزائر هم الذين يدعمون التواجد العسكري في الجزائر ضد أي حركة جزائرية مثل المقاومات و الانتفاضات و غيرها .

2-أن السوق الفرنسية مرتبطة بالأوروبيين، إذ أنها تستطيع تغيير هدف الفلاحة في الجزائر التي بقيت فلاحة الاكتفاء الذاتي المحلي بالدرجة الأولى .

3-أن المستوطنين الأوروبيين مصدرا لتزويد الإدارة الاستعمارية بالموظفين .

4-يعتبر المستوطنون في الجزائر همزة وصل بين المنتجات الصناعية الفرنسية الحديثة و الشعب الجزائري الذي مازال يعتمد على الصناعات التقليدية،على الرغم من أن المنتوجات الجزائرية كانت لها مكانتها

[1] نفسه ، ص ص 87 – 96.

- انظر الملحق رقم (07) ص87.

و هذا ما أكده الرحالة الالماني "موريتس فاجنير " الذي زار الجزائر ما بين سنتي 1836-1838م حيث قال :" كانت لمدينة الجزائر أسواق تحتوي على اكثر من 40 محلا ،هدم القسم الأكبر منها ،بل أجملها و أجدرها بالاعتبار وقامت مكانها محلات و دكاكين للأوروبيين ، أما دكاكين الجزائريين فكانت تبيع منسوجات لا تضاهي المنسوجات الأوروبية الآلية لا في جمالها و لا في أسعارها ".[1]

و قد اعتبر الاستعمار الفرنسي أن أساس الدولة هو إحداث نظام حكم و مجال سيادة من طرف قوة ما على هذه الارض و على حساب الشعب الجزائري ، فالاستعمار الاستيطاني يقوم على أساس مخالف للنظرية المعتقدة في علم السياسة و الذي يرى أن الدولة تتكون من إقليم و شعب

و مقومات و نظام حكم و مجال سيادة ، فكانت أهدافه كثيرة منها إقامة كيان غريب ، اقامة نظام سياسي جديد ، ربط الشعب الجزائري ثقافيا و حضاريا بالشعب الفرنسي .[2]

[1] سليمة بن نيفة و مسعودة جرادنية، الاستيطان و التوزيع الجغرافي للمستوطنين في الجزائر خلال فترة الاحتلال 1830-1870 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، اشراف الاستاذ مناد يعيش ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ جامعة المدية ،2016/2015 ،ص 20 .

[2] نفسه ، ص 20.

2. مصادرة الاراضي :

عملت الإدارة الاستعمارية منذ احتلالها مدينة الجزائر على الاستيلاء بالقوة و التحايل على الأراضي الشاسعة تحت طائلة مبررات غير منطقية و لا قانونية ، من بينها ادعائها أنها الوارث لكل الأراضي التي تدخل ضمن أملاك البايلك ، ثم لجأت إلى خلق الذرائع و الحجج الواهية لافتكاك الأراضي من أصحابها ، تارة التحجج بأرض ذات منفعة عامة و تارة أخرى مصادرة من باب عقاب و تجريد لأصحابها لمشاركتهم في ثورة أو انتفاضة أو حتى بذريعة الاهمال .

و عليه فتح باب المضاربة على مصراعيه فكانت الأملاك العقارية في سهل متيجة من أرض و بنايات محل هذه المضاربة ، إذ أن الإدارة الاستعمارية لما فتحت مراجعة عقود الملكية سنة 1847 في متيجة وجدت أن مجموع ما تم شراءه عن طريق المضاربة بلغ 200.000 هكتار ، غير ان المساحة الحقيقية كانت لا تزيد عن 160 ألف هكتار.[1]

ذلك أن هدف الاستعمار الفرنسي للجزائر منذ الوهلة الأولى للاحتلال ضم ممتلكات جديدة إلى الإمبراطورية الفرنسية ، وعندما وطأت أقدامه أرض الجزائر للمرة الأولى وجدت الإدارة الاستعمارية في الجزائر أراضي عديدة و منها المستغلة و غير المستغلة،[2] إذ أنه و بمجرد أن وطأت أقدام الغزاة أرض الجزائر حتى أصدرت إدارته قانون 1830 ،الذي نص على مصادرة أراضي موظفي السلطة التركية و أعيانها و كذا مرسوم 25 ديسمبر 1830 الذي نص على الاستيلاء على أراضي الحبوس و ضمها إلى مزارع المعمرين ذلك أن هذه الاجراءات ساهمت بشكل كبير في نشر الفقر الذي حول الكتل الفلاحية الجزائرية إلى متسولين .[3]

---

[1] تلمساني ، المرجع السابق ، ص348.

[2] بليل ،المرجع السابق ،ص 117.

[3] محمد الطيبي ،الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنيات و البنيات و المآلات ،ط1 ،ابن النديم للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2009،ص ص 191-192.

و في ذات السياق فإن فكرة حجز و مصادرة أملاك القبائل الثائرة لم تكن كذلك بالأمر الجديد ،و إنما نص عليها الأمر الصادر في 31 اكتوبر 1845،و كذا مرسوم 31 مارس 1871 الذي نص على حجز الممتلكات الجماعية و الخاصة .[1] ولقد كان الاستيلاء على الأراضي الفلاحية أول و أهم إجراء عقابي يطبق ضد كل جزائري ينصب العداء لفرنسا ،ذلك و أن جميع الذين التحقوا بالمقاومة و قاموا بأعمال عدائية ضد قوات الاحتلال الفرنسي أو قاموا بعمليات نهب أو سطو ضدهم أو ضد القبائل المتعاملة معهم إلا و أقدمت فرنسا على حجز ممتلكاتهم،و إتماما لعملية حجز ممتلكات الباي و الأتراك و كذا ممتلكات الأحباس بمقتضى القرارين الصادرين في 8 سبتمبر 1830و10نوفمبر 1830،قام الحاكم العام بإصدار قرار 1 ديسمبر 1840 و الذي تضمنت مادته الثانية حجز جميع الأراضي التابعة للجزائريين الذين ثبت تورطهم في أعمال عدائية .[2]

كما أن عمليات المصادرة و الطرد من الأراضي كانت أسلوبا متبعا في كل العمليات العسكرية الموجهة ضد القبائل التي تقف في وجه الفرنسيين ،إذ أن عمليات المصادرة و التغريم بلغت أوجها مع ثورة الرحمانيين بزعامة المقراني ، فقد قامت السلطات الفرنسية بعد القضاء على هذه الثورة الشعبية التي عمت معظم مناطق الشرق الجزائري إلى مصادرة مساحات شاسعة من الأراضي و التي قدرت ب حوالي 204933هكتار ،و قد صاحب هذه الإجراءات التعسفية صدور قوانين تسهل عملية الاستحواذ على أرض الجزائريين و تحويلها إلى ملكيات للأوربيين.[3]

و تسارعت عمليات الاستحواذ على الأراضي لفائدة المستثمرين الكبار في عهد نابوليون الثالث الأمر الذي ساعد المحتكرين و الشركات المستثمرة على توسيع رقعة ممتلكاتها العقارية ،و بعد القضاء على ثورة الرحمانيين صدرت عدة قوانين عقارية ترمي إلى توسيع رقعة أراضي الأوروبيين فقامت بسن مجموعة من القوانين و التي تمثلت في قانون 1887،1897،و قانون 1926 و التي

---

[1] شارل روبير اجيرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919 ،تر حاج مسعود – ا بكلي ،ج1، دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2007،ص 53.

[2] بن داهة عدة ،الاستيطان ،ج1 ،المرجع السابق ،ص 436.

[3] سعيدوني ، الجزائر منطلقات و آفاق ، المرجع السابق ، ص 29.

توسعت بموجبها ملكيات الأوربيين.[1] و نتيجة لذلك أصبح غالبية الجزائريين يعيشون على أرض فقيرة مما جعل عددا كبيرا من السكان يصبحون في حاجة ماسة إلى العمل في مزارع المعمرين كإجراء في أراضي كانت ملكا لآبائهم و أجدادهم .[2]

و في هذا الصدد فإن الاستعمار الفرنسي عامل الجزائر و الجزائريين كمستعمرة للأبد فاعتبروا أرض الجزائر أرض أعداء محتلة و أراضي الجزائريين و ممتلكاتهم غنائم حرب مسيحية في بلاد الاسلام،حيث لجأت السلطات الاستعمارية إلى مصادرة أراضي الجزائريين و منحها إلى الأوربيين الأمر الذي جعل عددهم يتراوح 140000 أوربي و معمر في الجزائر سنة 1866.[3]

فمجرد استقرار المستعمر الفرنسي في الجزائر أقدم على مصادرة مساحات واسعة من أراضي الجزائريين و جعل لنفسه حقوقا ليست له على أرض الجزائر ،و كل ذلك وقع قبل اجتذاب المهاجرين الذين لا يمكن الاستفادة من الأراضي المصادرة بدونهم لهذا تورطت الإدارة الاستعمارية فيما يسمى ب "لعبة التشريع" و إصدار القوانين لاستخدامها كأسلحة للنهب.[4]

كذلك وفي ذات السياق لجأت السلطات الفرنسية إلى طرائق أخرى لنهب المزيد من الأراضي كالإيجار أو البيع الصوري (الشكلي) حيث يقول أحدهم :"... عندما كان الأهالي يرفضون بيع أراضيهم كنا نطاردهم ، فإذا قاومونا بالسلاح فإن ذخيرة الجنود كانت أقوى من الأوراق القانونية و هذا هو حق الغزو ... ".[5] و يلخص الكاتب الفرنسي مرسال إيقريطو موقف فرنسا من أراضي الاهالي قائلا :" إن سرقة الاراضي كانت باستمرار سهلة التنفيذ فهي تبدأ بالاستيلاء على الأراضي

---

[1] حيث وزع على الأوربيين في ظرف عشر سنوات (1871-1881) ما لا يقل عن 400000 هكتار ، وفي ظرف عشرين سنة (1901-1920) تم توزيع حوالي 248289 ، وأصبحت تناهز ثلث مجموع الأراضي الزراعية في الجزائر مع حلول الذكرى المئوية للاحتلال 1930.انظر سعيدوني ،نفسه ،ص 30.

[2] نفسه ، ص 30.

[3] العربي منور ،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006 ، ص231.

[4] مياسي ، المرجع السابق ، ص122.

[5] نفسه ، ص124 .

و إقرار الأمر الواقع ثم يتدخل القانون لتبرير و تغطية ذلك النهب بطبقة من الطلاء السميك الذي يضمن حقوق الملاك الجدد ".[1]

و في إطار مصادرة و حجز الأراضي أقدمت الإدارة الاستعمارية على إصدار مجموعة من القوانين نلخصها فيما يلي :

1- قانون سبتمبر 1830:الذي يبيح إنتزاع الملكية من أصحابها و مصادرة أراضي الأوقاف،ضاربا عرض الحائط ما نصت عليه معاهدة الاستسلام و التي جاء فيها : "...ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ،ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ،لا بدينهم و لا بأملاكهم ولا تجارتهم ولا صناعتهم ..."

2-قانون 1 اكتوبر 1844 :المتضمن مصادرة كل الأراضي غير المزروعة و غير الموثقة ، في الإدارة الفرنسية مع إعطاء مهلة ثلاث أشهر لإتمام اجراءات التسجيل و حيازة الملكية ، إلا يتم مصادرتها.

و يتضح أن هذا القانون لم يترك أية فرصة للجزائريين للحفاظ على أرضهم التي باتت مستهدفة بعد أن وضع أمامهم شروط تعجيزية .

3-قانون 31 اكتوبر 1845:المتضمن تجريد كل من يثور على السلطة الاستعمارية من أرضه أو بمجرد الاتهام بالعداء ضد لفرنسا .

4-قانون 21 جويلية 1846:أباح إمكانية الاستيلاء على الأراضي غير المستغلة (البور) و كذا أرض العرش في حال ثبوت مشاركتهم في المقاومة .[2]

5- قانون 16 جوان 1851: و الذي أكد على أن الملكية حق مصون للجميع بدون تمييز بين الملاك من الأهالي و الملاك من الفرنسيين و غيرهم ويقضي بتحديد أراضي الأعراش ذات الملكية الجماعية بحسب حجم كل عرش و نزع الفائض من الأراضي المتبقية .[3]

---

[1] نفسه ، ص 134.

[2] تلمساني ، المرجع السابق ، ص 349.

[3] نفسه ، ص350.

6- قانون 6 فيفري 1863:المرسوم المشيخي من نتائج زيارة نابوليون الثالث إلى الجزائر سبتمبر 1860إن حاولت الإدارة الاستعمارية إحداث تغييرات على سياسة المصادرة المتبعة في الجزائر،كما أنه أعطى الصبغة القانونية لكل الأراضي المغتصبة و المصادرة ما بين 1830-1863 .[1]

غير أن عملية مصادرة الأراضي ازدادت حدة في عهد النظام المدني، ذلك أن الكولون أصبحوا منفردين بالسلطة و أصبحوا هم من يقدمون على صنع القرار فقاموا بإصدار المزيد من القوانين و القرارات التعسفية و العنصرية كتكملة لتلك التي صدرت منذ 1830 نذكر على سبيل المثال قرار الحجز العام 1871 كإجراء إداري تعسفي استهدف القبائل الثائرة.[2]

و رغم ذلك إلا أن الجزائريين الذين كانت ظروفهم المادية ميسورة نسبيا استعادت تلك الأراضي عن طريق شرائها من المعمرين حيث بلغ حجم المشتريات عام 1919 ما يقارب 40440 هكتار في حين لم يجد الذين عجزوا عن استعادة أراضيهم سوى الثورة على المعمرين و الانضمام إلى فلول الثائرين و الناقمين على الإدارة الاستعمارية و قوانينها .[3]

فالأراضي التي استولت عليها فرنسا ثم أعطتها إلى المستوطنين عدة أنواع[4] ولقد كان المستوطنون يحصلون على الأراضي من الحكومة الفرنسية وفق تسهيلات ،ذلك في البداية كانت

---

[1] نفسه ، ص 350.

[2] نفسه ، ص 356.

[3] بوزار امينة و لسلوس سميرة ، جرائم الابادة الفرنسية في الجزائر(1188- 1320 هـ /1830-1962 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، إشراف الاستاذ بن الشيخ حكيم ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ جامعة المدية ، 2016/2015 ، ص13 .

[4] من هذه الانواع نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الأراضي التي كانت تابعة للدولة الجزائرية او كانت ملكا لرجال الدولة، الاراضي التي هاجر اصحابها نتيجة الاحتلال سواء كانت هجرة داخلية او خارجية الأراضي التي تركها الاتراك أي الجيش الانكشاري و كبار الضباط المتقاعدين ،اراضي الاوقاف التابعة للمساجد و الزوايا و المدارس ، وكذا اراضي الاعراش او الاراضي المشاعة التي لم تعترف بها فرنسا اذ ان هذه الاخيرة كانت تطالب المالكين بالوثائق التمليكية و هي غير متوفرة ...الخ (انظر) ابو القاسم سعد الله ،أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج5 ،دار البصائر للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2007 ،ص ص 131-132.

السلطة الحاكمة في الجزائر هي التي تمنح الأراضي للأروبيين و توفر لهم الطرقات و الآلات و القروض و إعفائهم من الضرائب من ثلاث إلى خمس سنوات بعدها أصبحت الدولة هي التي توفر الأراضي ثم تقوم ببيعها بأثمان زهيدة إلى الأوربيين الجدد مع التسهيلات (الطرقات ، الاعفاءات من الضرائب ومنح القروض).[1]

وبعدها أصبح المستوطنون يستطيعون شراء الأراضي من الجزائريين مباشرة طبقا لمرسوم سيناتوس كونسلت سنة 1863،[2] و منه نتج عنه استغلال بشع للأهالي لأن الجزائري كان يبيع أرضه لعجزه عن زراعتها أمام المنافسة الاوربية .[3]

كما تبنت السلطات الفرنسية نوع آخر من المصادرة و الذي تمثل في مصادرة الأراضي التي تخلى عنها أصحابها لمدة تزيد عن 3 اشهر دون إذن من السلطات الفرنسية ،كما أن أعمال الحجز و المصادرة مست باقي الممتلكات كالمباني السكنية و المرافق التجارية و الثروات الحيوانية .[4]

وفي هذا الصدد فقد كانت ثورة 1871 آخر الثورات التي نتج عنها مصادرات كبيرة للأراضي الباقية في يد الجزائريين ،ذلك أن السلطة الفرنسية قامت بمنح هذه الأراضي إلى أهل الألزاس و اللورين.[5] و بعد إعلان المقراني الحرب على فرنسا مستعينا بالشيخ الحداد و ابنه عزيز قامت السلطات الفرنسية بإصدار قرارا في 25 مارس 1871 و قد نص على حجز أملاك المقراني و أملاك جميع أتباعه ،و منه فإن الفترة التي جاءت بعد ثورة 1871 إلى غاية 1884 هي التي شهدت أكبر عملية حجز ،ومن أمثلة ذلك القرار الذي صدر في 26 فبراير 1883 و الذي نص على حجز

---

[1] نفسه ،ص 132.

[2] سناتوس كونسلت و يعرف كذلك بالقرار المشيخي ،تمت مناقشته من طرف مجلس الشيوخ يوم 8 افريل 1863 و يعتبر من اهم الوثائق الخاصة بالريف الجزائري ،لانه ارتبط بعدة عمليات مست الفلاح الجزائري و ملكياته العقارية و الزمته بإجراءات عديدة .(انظر) محمد بليل ،المرجع السابق ، ص126.

[3] سعد الله ،أبحاث و آراء ،ج5 ،ص132.

[4] بن داهة ،الاستيطان ،ج1 ،المرجع السابق ،ص337.

[5] سعد الله ،أبحاث و آراء ،ج5،المرجع السابق ،ص132.

الأملاك العقارية بما فيها المباني السكنية و المحلات التجارية للعائلات و الأشخاص الذين التحقوا بثورة بوعمامة.[1]

كما لجأت السلطات الفرنسية إلى الحجز و المصادرة من أجل المنفعة العامة ،فقد نصت المواد من 14 الى 79 من الفصل الرابع للمرسوم التشريعي الصادر في 1 اكتوبر 1844،و كذا المواد الثمانية عشر من الفصل الرابع من قانون 19 جوان 1851 و التي نصت على المصادرة من أجل المنفعة العامة و ذلك باستغلال هذه الاراضي فيما يلي:

-إقامة القرى و المدن .

-بناء التحصينات و المستوطنات العسكرية .

-إنشاء الاحواض و الخزانات المائية .

-شق الطرقات و المسالك ،ووضع قنوات الري و الصرف.[2]

و قد أنشات الإدارة الاستعمارية من جراء ما أسمته بالمصادرة من أجل المنفعة العامة 146 مركزا استيطانيا فيما بين 1836-1860لاستقبال الكولون الفرنسيين و الأوربيين[3]،ومعظم الممتلكات المحتجزة لأجل المنفعة العامة لم يعوض أصحابها و لم تعرهم السلطات الاستعمارية أي اهتمام،كما ان عمليات الحجز و المصادرة مست حتى الأراضي الغابية و الذي نتج عنه حرمان السكان من خدماتها و قامت الإدارة الاستعمارية باصدار ما لا يقل عن 45 نص تشريعي ما بين 1830-1895 تم بموجبها مصادرة مساحات أرضية غابية.[4]

---

[1] بن داهة ،الاستيطان ،ج1 ،المرجع السابق ،ص ص 339-343 .

[2] نفسه ، ص ص 444-445.

[3] نفسه ، ص446.

[4] نفسه ، ص ص 461-462.

و منه نقول أن الفرنسيين و منذ 1830 قاموا بالاستيلاء على أملاك حكومة الجزائر و على أملاك الموظفين الجزائريين الذين طردوا من البلاد كما قاموا بالاستيلاء على أملاك الأوقاف و أملاك العرش حتى أصبحت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في يد السلطات الفرنسية.[1] بالإضافة إلى أسلوب الحجز الذي بدأ العمل به بموجب مرسوم 31 اكتوبر 1845 ، و الذي طبق في منطقة القبائل على إثر ثورة 1871 و الذي نزع على إثرها حوالي 000 250 هكتار من أجود و أخصب أراضي هذه المنطقة .[2]

كما أن الأرض كانت تمثل الروح الجماعية للجزائريين ،لذلك سعت فرنسا لفتح المجال لتجسيد نظريات اقتصادية و تجارية جديدة و ذات أبعاد اجتماعية كثيرة و خطيرة ، و أمام المشروع الاستيطاني أصدرت السلطة المحلية مجموعة من القوانين العقارية التي عملت على سلب أراضي الجزائريين و اغتصابها ،وذلك للتحكم في الجزائريين و اخضاعهم للنفوذ الفرنسي من خلال تحويلهم من مالكين إلى أجراء يعملون من أجل تنمية ثروات المعمرين.

[1] بوعزيز ، سياسة التسلط ، المرجع السابق ، ص141.

[2] نفسه ، ص 132.

3. تأثير الاستعمار على الأوضاع الاجتماعية :

إذا كان الحكم على الاستعمار الفرنسي في الجزائر يرتبط بنتائجه ،فبقدر ما انعكست هذه النتائج إيجابيا على المستوطنين الفرنسيين و الأوربيين، فإنها انعكست سلبا على المجتمع الجزائري،إذ أن الجزائري سلبت منه أرضه و أصبح يسكن كوخا و يركب حمارا، بالإضافة إلى انتشار الفقر و تعرض البنية الاقتصادية و الاجتماعية للهدم و غيرها من النتائج السلبية الأخرى التي سنجملها فيما يلي :

1.3.إنتشار الفقر :

لقد عرف النمو السكاني في الجزائر ما بين سنتي 1858-1953 تزايدا ملحوظا من 2307000 الى 9000000 نسمة ، الأمر الذي جعل فرنسا عاجزة عن فعل أي شيء كاستصلاح الأراضي و زرع الحبوب لسد الحاجيات الضرورية للسكان،ذلك أن متوسط نصيب الفرد من الحبوب انتقل من 5,9 قنطار سنة 1870 الى 4,9 قنطار سنة 1911 و تراجع شيئا فشيئا ليصل إلى 2 قنطار للفرد سنة 1950.[1]

و الجدير بالذكر أن المساحات الزراعية للفلاحين هي الأخرى شهدت انكماشا ،و ذلك راجع إلى القوانين الخاصة بالملكية و تجزئة الأراضي و المصادرة، وفي المقابل اتساع مساحات القطاع الفلاحي للمعمرين و كذا التوزيع الغير عادل للمعدات الفلاحية.[2]

و في هذا الصدد شهدت المدن الفقر و تدهور طبقة كاملة من الحضر و الأغنياء بالإضافة إلى الأسباب النفسية ،و التي تمثلت في الإهانة التي لحقت بالمسلم الذي كان يعتبر عزيزا فأصبح ذليلا أمام الفرنسي و اليهودي.[3]

---

[1] عدة بن داهة ،الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962 ،ج 2 ،ط 1 ،المؤلفات للنشر و التوزيع ،الجزائر،2013 ،ص ص 6 – 7.

[2] نفسه ، ص 9.

[3] بزيان ،المرجع السابق ، ص 90.

2.3.التهجير :

أجمعت آراء الباحثين الإجتماعيين على أن الهجرة لابد أن تقوم على سببين رئيسيين :

1-أن تصبح الحالة في الوطن لا يطيقها الإنسان أو يبدو له على الأقل أنها فوق طاقته .

2-أن يبدو لطالب الهجرة بلد اخر يتخذه موطنا ، معتقدا أنه سيجد فيه ما عز عليه وجوده في وطنه.

والأغلبية الساحقة من المهاجرين الجزائريين قد هاجروا وطنهم للسبب الأول،حيث أصبحوا لا يطيقون الحالة في الجزائر، أما ادعاء بعض الاستعماريين الفرنسيين من أن تلك الهجرة كانت مظهرا للبدوي ،في حين أن الإحصاء يدل على أن أكبر عدد من المهاجرين كانوا من أهل الحضر.[1]

لقد شجعت فرنسا الهجرة الجزائرية نحو الخارج و الهجرة الأوروبية نحو الجزائر و شجعت سياسة النفي والتهجير بإصدار قانون التهجير [2]، وأحيانا أخرى بالنفي مثل ما حدث في عهد بوجو 1841-1843،الذي قام بنفي مجموعة من النسوة إلى جزيرة سان مارغريت، أدت هذه السياسة إلى انخفاض عدد السكان ما بين سنتي 1840-1848 حوالي10 % أي ما يعادل 300 الف نسمة .[3]

كما قام المستعمر الفرنسي بتهجير قوة بشرية إلى الجزائر من مختلف الدول الأوربية كما أتاح الفرصة أمامهم من أجل الحصول على امتيازات،حيث كانت تسعى لتحقيق وحدة اجتماعية متجانسة .[4]

---

[1] محمد صالح الصديق ،الجزائر بلد التحدي و الصمود ، د ط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2007،ص 80.

[2] قانون التهجير صدر سنة 1914 ملغيا قانون 1874 الذي أنشا جوازات السفر الجزائرية كان هدفها نقل العمال الجزائريين إلى فرنسا للزج بهم في حرب لا تعنيهم و لسد الفراغ الذي خلفه التجنيد في مصانعها. انظر ،علامة صليحة ،الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930 ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ،إشراف ناصر الدين سعيدوني ،جامعة الجزائر،2001/2000،ص59.

[3] نفسه ،ص59.

[4] بن داهة ،الاستيطان، ج2 ، المرجع السابق ، 28.

لقد شهدت الجزائر خلال هذه المرحلة عدة أحداث كانت دافع للهجرة [1] ،و في هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله "إنها أسباب كثيرة من الصعب أن نقول أحدها هو السبب الرئيسي و الوحيد، فهي أسباب دينية اقتصادية و هي قومية و سياسية و أيضا هي البحث عن الحرية ،فالاستيلاء على الأوقاف و التعرض بالهدم و البيع و تغيير المساجد و منع الحج و التحكم في رجال الدين و التدخل في شؤون القضاء و غير ذلك نردها كلها إلى الأسباب الدينية ثم إلى تحطيم الأسواق و إغراق المدن بالإنتاج الفرنسي و بيع الأملاك عن طريق المضاربات و مصادرة الأراضي نرجعها إلى أسباب اقتصادية و اجتماعية ...".[2]

و الجدير بالذكر أن عملية التهجير لحقت بها عملية أخرى و هي النفي خارج الجزائر و لنا في ذلك منفى كاليدونيا الجديدة [3] ،و في هذا الشأن يقول صديق تومي : وصول الدفعة الأولى من المنفيين الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة ،من أعلى التل كان سكان القرية يصفون وصول متمردي الجزائر " كان ينتظرنا مساء السبت 17 اكتوبر 1874 مفاجأة غريبة ففجأة ظهر مراقبون في المنعطف يتبعهم حوالي 40 شخصا يرتدون ملابس بيضاء ،في البداية ظننا أنهم زوجات زملائنا ، و لكن وحدة لباسهم أظهرت أنهم مجموعة راهبات أو مجموعة التائبين فكنا نحاول جاهدين معرفة حقيقتهم و عند وصولهم إلى السجن تعرفنا عليهم و انبعث صراخ واحد العرب إنهم العرب ، و بالفعل كانوا هم نفس الأشخاص الذين قابلناهم في قلعة أوليرون ،و كانوا موجهين إلى جزيرة الصنوبر و أنزلوا هنا لقضاء شهر رمضان.."[4]

---

[1] . فشل ثورة 1871 و قانون المستوطنين وارني و مشاريع التجنيد الإجباري و التجنيد الجماعي ، و المساس بالشريعة الاسلامية في الحملة التي شنت في القضاء على المسلمين .

[2] – بزيان ،السياسة الاستعمارية المرجع السابق ،ص ص 89-90.

[3] كاليدونيا الجديدة تقع جنوب غرب المحيط الهادي تم اكتشافها سنة 1774 من طرف البحارة جيمس كوك ، و ما بين سنتي 1853-1860 أصبحت تابعة للمستوطنات الفرنسية بالمحيط الهادي ،و عينت فور دوفرانس كعاصمة لها و في سنة 1864 أقيمت كمستوطنة تنفذ فيها العقوبات .انظر ،صديق تومي ، المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية نتائج و أبعاد ثورة المقراني و الحداد ،د ط ،دار الامة ،الجزائر،2010 ،ص132.

[4] نفسه ، ص 127 .

3.3 .اختلال التوازن السكاني :

أمام تردي الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لم يجد الجزائريون من حل سوى اللجوء إلى الهجرة إلى المدن المجاورة أو إلى الخارج ، ذلك فيما بين 1920-1930 بلغ عدد المهاجرين إلى فرنسا 40000مهاجر، و في سنة 1947 وصل عددهم إلى66000 .

بالإضافة إلى الهجرة من الريف إلى المدينة ففي سنة 1936 وصلت نسبة سكان المدن حوالي 45 % ،في حين أنه كانت تمثل نسبة 28 % فقط سنة 1878،فالجزائر العاصمة و حدها بلغ عدد النازحين إليها حوالي 80000 نسمة سنة 1954 يسكنون 120 حي قصديري في ظروف مأساوية و مهمشين .

و الجدير بالذكر أنه لم يكن النزوح الريفي و الهجرة إلى الخارج و كذا المجاعات هي وحدها التي أثرت على التوازن السكاني للمجتمع الجزائري، فعمليات الإبادة الجماعية للسكان الجزائريين هي الأخرى كانت لها تأثيرا مباشرا على التوازن السكاني .[1]

ونستنتج مما سبق أن الطبقة الفلاحية أصيبت بضرر شديد إذ كانت ضحية نزع الملكية المستمر ،و قد دلت الأبحاث الحديثة على أن هذا الإفقار كان على درجة من الجسامة[2] ،فقد أصبح الأهالي في ضيق شديد استنزفوا ما عندهم من المواد الغذائية و باعوا ما بقي من حيواناتهم التي نجت من الموت بأبخص الاثمان ، فأصبحوا يهاجرون أفواجا و جماعات إلى أقاليم التل بحثا عن الطعام بل إن بعضهم نبشوا القبور و أكلوا جثث الموتى، حتى و أن بعض الأهالي أقدموا على إرتكاب جرائم القتل و السرقة حتى يلقي عليهم القبض ،فيضمنوا لقمة العيش اليومي داخل السجون و المعتقلات ،و عندها كثر ازدحامهم في الطرقات و الساحات العامة بقرى و مدن

[1] بن داهة ،الاستيطان ، ج 2 ،المرجع السابق ، ص ص 41-45.

[2] أجيرون ،تاريخ الجزائر ، المصدر السابق ،ص 98.

الشمال بحثا عن ما يسد الرمق من المزابل و أكوام القمامات ،حينها تصايح الأوربيون و طلبوا من السلطات الحاكمة أن تطردهم بدعوى أنهم كانوا يهددون الأمن و الصحة العامة .[1]

بالإضافة الى المساحات الزراعية التي شهدت انكماشا[2] ،و التي نتج عنها ظهور المجاعات إذ أنه أمر طبيعي و ذلك بسبب افساح المجال لتوسع مساحات الكروم و إهمال زراعة الحبوب،و في المقابل تزايد ملحوظ في عدد السكان .[3]

و على الرغم من عمليات الإبادة و النزوح الريفي المتزايد ، غير أن نسبة السكان بالأرياف ظلت مرتفعة 81 % يسكنون الأرياف مقابل 19 % يسكنون المدن من الجزائريين ،وحتى سكان الأكواخ و الأحياء القصديرية المحيطة بالمدن الكبرى هم أبناء الريف الذين سلبت منهم أراضيهم .

[1]يحي بوعزيز ،موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،ج1 ، د ط ،دار الهدى للنشر و التوزيع ، الجزائر ،2009،ص ص 486-487.

[2]حسب الإحصائيات الزراعية إنخفضت مساحة الملكيات الخاصة الأهلية من 8188410 هكتار سنة 1884إلى 5791255 هكتار عام 1904المنطقة المدنية أي بنقص قدره 29 %في 20 سنة و لكن التحقيق الذي أجري عام 1900كشف 7281838 هكتار من الاراضي الخاصة و 1912900 من اراضي العرش و قد خص تحقيق 1918 المسلمين ب 2420034 هكتار من الأملاك الخاصة و 2722934 هكتار من أراضي العرش (الجزائر الشمالية).انظر ، أجيرون ،تاريخ الجزائر ، المصدر السابق ،ص 98.

[3]بن داهة ، الاستيطان ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 13.

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراستنا المتواضعة لموضوع الممارسات الفرنسية في الجزائر المستعمرة من خلال كتاب **الاستعمار الإبادة** "لأوليفيي لوكور غرانميزون"خرجنا بمجموعة من الاستنتاجات و هي كالآتي :

حاول المؤلف إظهار حقائق حول الممارسات الفرنسية في الجزائر ،فقد أعطى لنا صورة واضحة عن حقيقة الاحتلال التي أرجعها إلى تدهور البنية الاقتصادية و السياسية التي أحدثت القطيعة بين السلطة و الرعية ،فتطرق إلى أهم الممارسات التي قام بها السفاحين في جميع الميادين السياسية و الاقتصادية في بداية الاحتلال و حتى العسكرية التى ارتكبت في حق الجزائريين و تأثيرها على البنية الاقتصادية و الاجتماعية .

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر تجربة خاصة و مميزة كونه يتناقض مع القيم الحضارية رغم المنشور الذي تم توزيعه عشية الاحتلال ، فقد عملت فرنسا على تحطيم البنية الاجتماعية و القضاء على الأسس المادية و الحضارية بشتي الطرق،كما اعتبرت نفسها حاملة المشروع الحضاري لتساعد المتخلفين في مستعمرة الجزائر بالالتحاق بالركب الحضاري و التقدم لكن ال

إن الأحداث التاريخية توضح أن الممارسات الفرنسية لا علاقة لها بالتحضر ففكرة احتلال الجزائر كانت محل تفكير الكثيرين من رجال السياسة و الفكر الفرنسيين، باعتبار أنهم كانوا بحاجة إلى امتداد جغرافي ليجلبوا ما أسموه بالحضارة ،فالنظرة الاستعلائية التي قادها دوتوكفيل تمحورت حول كيفية مساعدة السلطات الفرنسية لإحكام قبضتها على الجزائر فكان يعتبر الجزائر أدني حضارة و على الفرنسيين إنقاذهم .

إن الجزائر خلال الفترة المدروسة مر تنظيمها الإداري بمرحلتين أولها الحكم العسكري من 1830- 1870 حيث كان محدودا في المناطق الساحلية دون التوغل الى الدخل و ذلك بسبب الانتفاضات و المقاومة التي عرقلت عملية النفوذ و الاحتلال الفرنسي ،بعدها جاءت فترة الحكم المدني 1870 ليشمل الاحتلال على إثره جميع أراضي الجزائر و السيطرة المباشرة عليها.

اتبع الاستعمار الفرنسي مبدأ الشمولية حيث جاء بأفكار كاذبة لمحاولة إيهام العالم بنشر الحضارة، فاستعمل في ذلك كل أنواع النهب و الاستيلاء التي فرضتها فرنسا على مستعمراتها فالسياسة الرسمية التي اتبعها كل من بيجو ، بيليسي والدوق دو روفيقو من خلال إخضاع العرب بالاعتماد على الوسائل العسكرية و مساومة رؤوس القبائل فكانوا يظنون أن حرب الإبادة وحدها الكفيلة بالقضاء على روح المقاومة .

تميزت هذه السياسة الجديدة بأسلوب الحكم المباشر و اعتماد الإبادة الجماعية و الفردية فقد عرف الجزائريون في هذه الفترة أبشع أنواع القمع العسكري، الذي راح ضحيته السكان الأبرياء و الأطفال و ذلك لعدم قدرتها على النيل من رجال المقاومة، فإن المجازر التي قامت بها فرنسا لا يمكن تعدادها العوفية و أولاد رياح و مجزرة الزعاطشة ....، فالسفاحين الفرنسيين كانوا يتسابقون على احتلال المرتبة الأولى في ارتكاب الجرائم ضد الانسانية على الرغم من أن هذه الجرائم كانت محضورة في أعين الرأي العام.

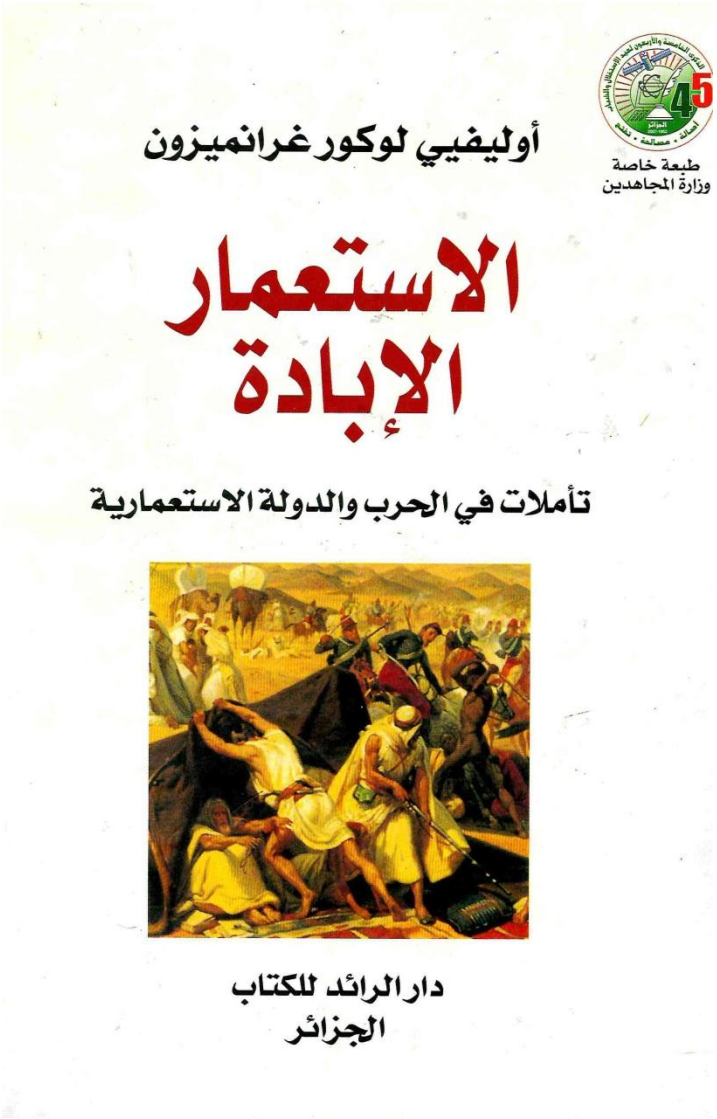
تفكيك النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري عن طريق الاستيطان ونزع الملكية فقد سار على مرحلتين الاحتلال الضيق في المناطق الشمالية ، أما الاحتلال الشامل فانتشر في باقي المناطق وفي ظل ذلك قام الفرنسيون بتسهيل عملية التهجير للجزائريين وذلك للحصول على المزيد من الأراضي.

استفحال ظاهرة الهجرة الداخلية و الخارجية هروبا من بطش الحكومة الفرنسية و انتقال بعضهم نحو فرنسا بسبب قانون التهجير أو البحث عن العمل و تطبيق سياسة التجويع ، فكانوا فريسة الأمراض و الأوبئة، ورغم كل القوانين و الاجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات الفرنسية إلا أن الفرد الجزائري لم يستغن عن أرضه ووطنه مقوماته.

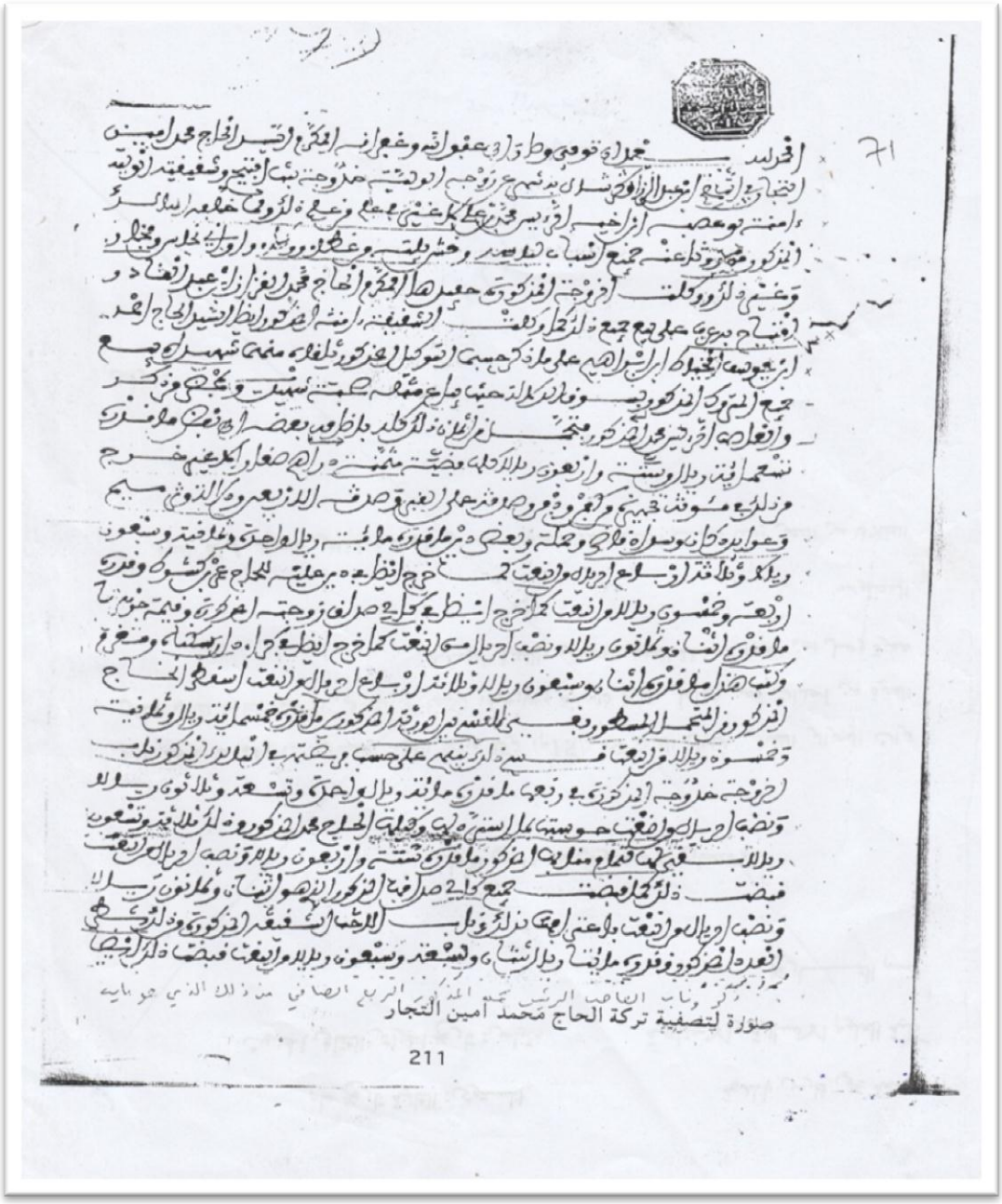
ومن خلال هذه الاستنتاجات التي استخلصناها من دراستنا لموضوع "الممارسات الفرنسية في الجزائر المستعمرة من خلال كتاب الاستعمار الإبادة " **لأوليفيي لوكور غرانميزون** ، نقول أنه لا يمكن حصر كل جزئيات الفترة المدروسة، كما أن التعمق أكثر و البحث في جزئيات موضوع الممارسات الفرنسية في الجزائر أمر لابد منه.

الملاحق

الملحق رقم(01): الغلاف الخارجي للكتاب



الملحق رقم (02): الوقف عند المرأة في العهد العثماني

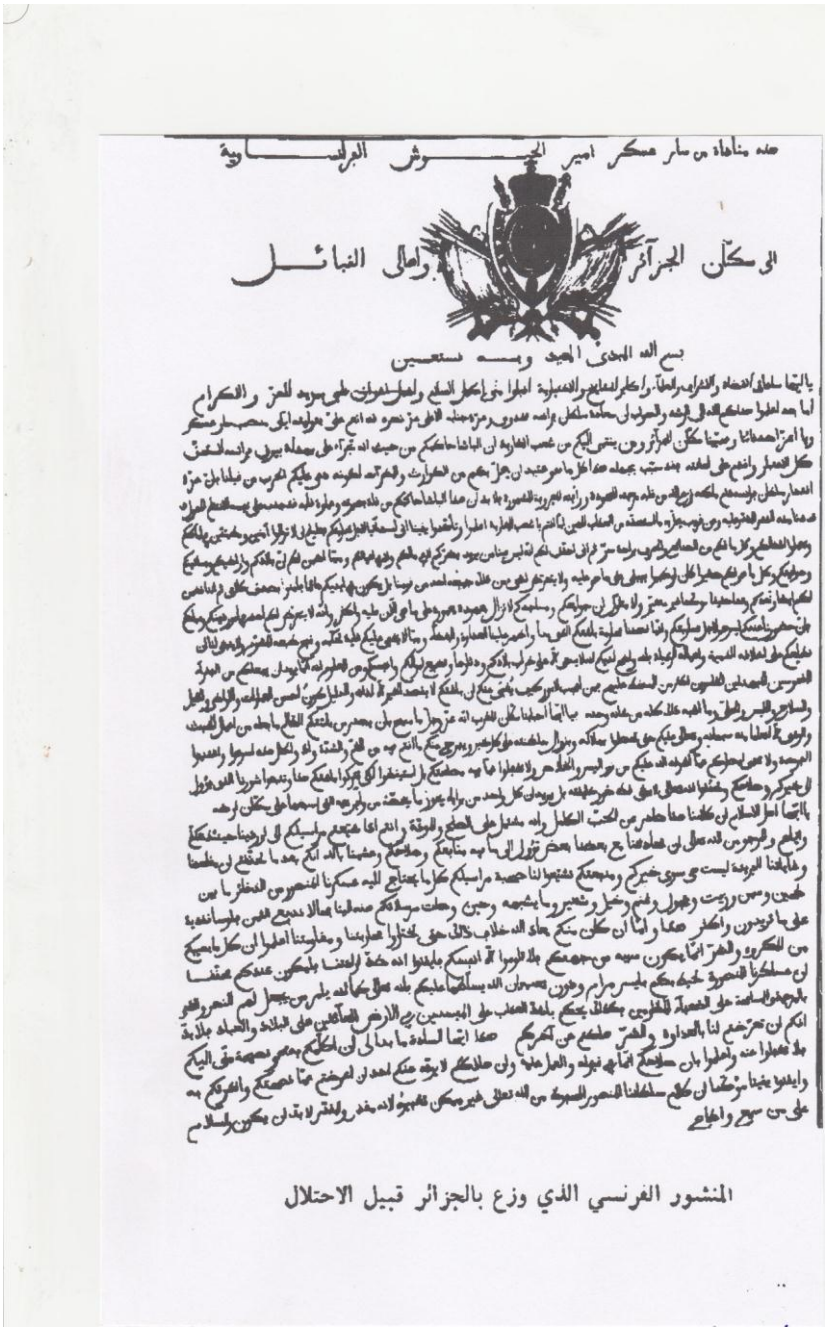


صورة لتصفية تركة الحاج محمد أمين التجار

211

سلمت لنا من طرف الأستاذة لطيفة حمصي يوم الأربعاء 19 أفريل 2017 بجامعة المدية.

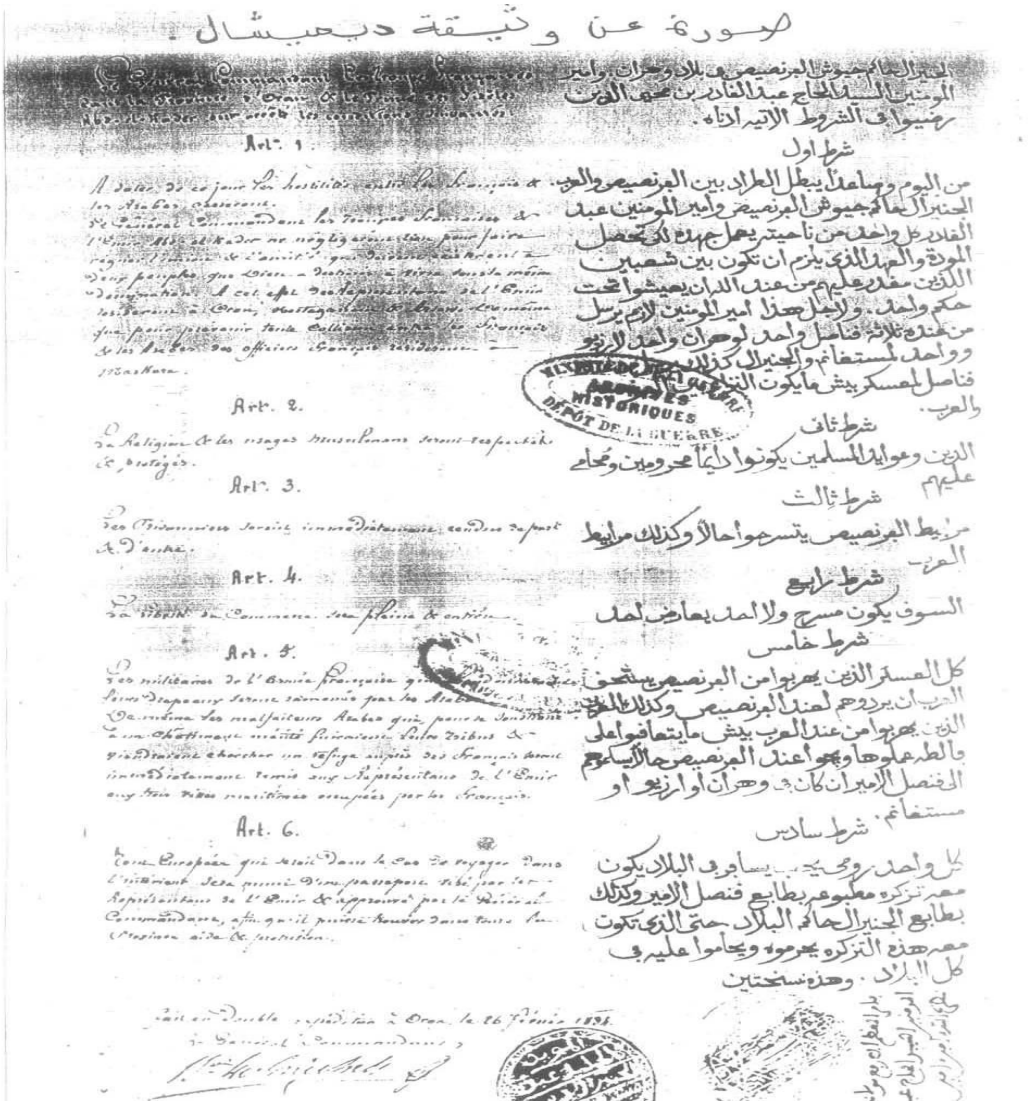
الملحق رقم (03) :بيان دو بورمون.[1]



المنشور الفرنسي الذي وزع بالجزائر قبيل الاحتلال

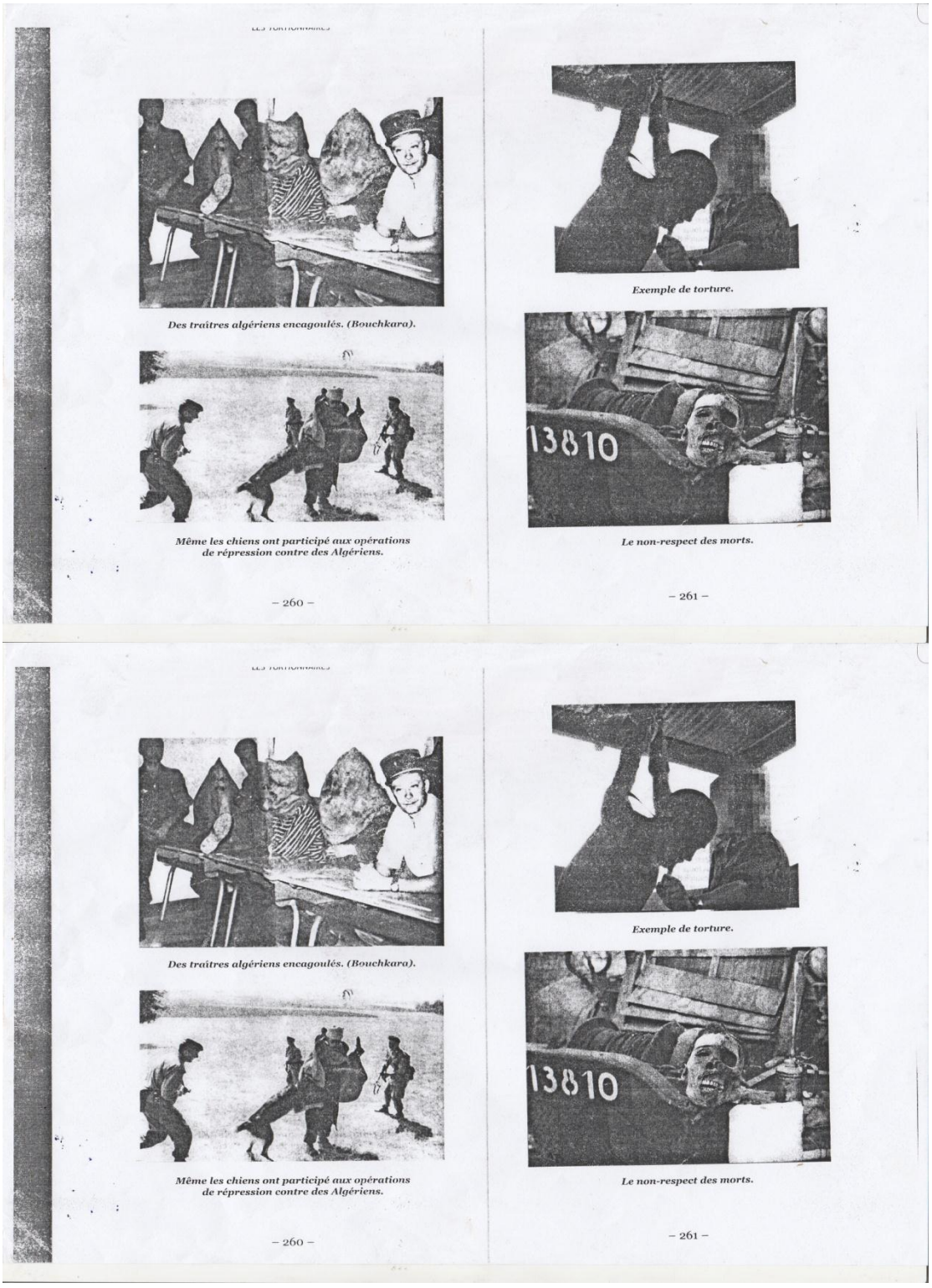
[1]المدني ، مذكرات احمد شريف الزهار ، المرجع السابق ، ص .177

الملحق رقم (04) : معاهدة ديميشال[1]


صورة عن وثيقة ديميشال

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الامير عبد القادر الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، إشراف ناصر الدين سعيدون ، جامعة الجزائر 2003-2004 ص 364 .

الملحق رقم (05) : جرائم الحيش الفرنسي البشعة.[1]



[1] Boualem Nedjadi ،les Tortionnaires 1830-1962 ,Edition ANEP,Alger,2010,p p260-261.

الملحق رقم (06): نماذج من السياسة الفرنسية في الجزائر قادة مقاومة الزعاطشة 1849[1]



[1] مرزاقة ،المرجع السابق ، ص 174.

الملحق رقم (07) :يمثل المراكز الاستيطانية الناشئة فيما 1840-1845.[1]

السنة	عمالة الجزائر.	عمالة وهران .	عمالة قسنطينة.
1840	دالي ابراهيم-القبة.		
1841	البيار،بئر مراد رايس،بئر خادم،دويرة،حسين داي.	ضاحية مستغانم،ضاحية معسكر.	سكيكدة.
1842	مليانة،البليدة،العاشور،شرشال، دراية ،قدوس،القليعة،اولاد فايت	تلمسان.	القالة.
1843	بوزريعة،عين البنيان،بوانت بسكاد،ساولة،بوغار،الأصنام،ثنية الحد.		
1844	باباحسان،خرايسية،دواودة،فندق (خميسالخشنة)،محالمة،سان فرديناند،سانت أميلي،سيدي فرج،سطاوالي،زرالدا،دلس،فوكة	السانية.	الحروش،سان انتوان، فالي،دار ميمونت.
1845	الصومعة،اومال.	أرزيو،مسرغين،سان دوني دو سيق،سيدي شامي	دوزفيل،قالمة(الضاحية)

[1] بن داهة ، الاستيطان ، ج 1 ، ص 58.

قائمة المصادر و المراجع

أولا :المصادر بالعربية:

القرآن الكريم.

1-أوهابنسترايت،رحلةالعالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/1734م)،تر ناصر الدين سعيدوني،دار الغرب الاسلامي،تونس.

2-باي أحمد،مذكرات أحمد باي ، د ط،د ت .

3-بربروس خير الدين،مذكرات خير الدين بربروس،تر محمد دراج،ط 1،شركة الأصالة للنشر و التوزيع،الجزائر،2010.

4-بفايفر سمون،الجزائر عشية الاحتلال،ط 1،دار هومة،الجزائر،1998.

5-بونو أيف،مجازر استعمارية،تر أبو العيد دودو ،مراجعة عبد المجيد سالمي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2014.

6-خوجة حمدان،المرآة،تعريب وتقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري،منشورات ANEP.

7-الزبيري محمد العربي،مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،منشورات السهل،2009.

8-سانت آرنو،مذكرات الماريشال سانت آرنو1832-1841،تر عبد القادر ليفا بداه المهدي،دار المعرفة ،الجزائر،2013.

9-سبنسر وليام،الجزائر في عهد رياس البحر،تعريب و تقديم عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر،الجزائر،2006.

10-شالر وليام،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر1816-1824،تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر.

11-شلوصر فندلين،قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837،تر أبو العيد دودو،ط 1،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،1980.

12-ليوز كلود،العنف و التعذيب والاستعمار من أجل الذاكرة الجماعية،تر مجموعة من الأساتذة،دار القصبة للنشر،الجزائر،2013

13-محمد محمود باشا،ذريعة المروحة-1827-أو الاستيلاء على إيالة الجزائر،تر عزيز نعمان،دار الأمل للطباعة و النشر والتوزيع،الجزائر،2010.

14-المدني أحمد توفيق،مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر(1168-1246هـ/1754-1830م،د ط،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1974.

15-مسبيرو فرانسوا،سانت آرنو أو الشرف الضائع، تر أحمد بكلي ،دار القصبة للنشر،2005.

ثانيا :المراجع بالعربية:

1-ابستاين جوزيف،ألكسي دو توكفيل المرشد إلى الديمقراطية،تر سمية ممدوح عادل،ط1 ،القاهرة،2010.

2-ابن خلدون عبد الرحمان،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،2000.

3-إتيين برونو،عبد القادر الجزائري،تر مشيل خوري،ط 1،دار عطية للنشر و التوزيع،لبنان،1997.

4-أجيرون شارل روبير،الجزائريون المسلمون و غرنسا 1871-1919،تر حاج مسعود –أ بكلي ،ج 1،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007.

5-أجيرون شارل روبير،تاريخ الجزائر المعاصرة،تر عيسى عصفور،ط 1،منشورات عويدات،بيروت-باريس،1982.

6-الأشرف مصطفى،الجزائر الأمة و المجتمع،تر حنفي بن عيسى،د ط،دار القصبة للنشر،2007.

7-أ-ف سنونبغ،الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال ،تر أبو العيد دودو،ط 1،المؤسسة الوطنية للنشر،الجزائر،2005.

8-بزيان سعدي،جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس صفحات مظلمة من تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر من الاحتلال 1830 إلى الاستقلال 1962،دار هومة،الجزائر،2005.

9-بلاح بشير،تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1889،ج 1،دار المعرفة،الجزائر.

10-بليل محمد،تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881-1914،دار سنجاق الدين للكتاب.

11-بن تومي عمار،الجريمة و الفضاعة،تر عبد السلام عزيزي و بشير بولفراق،د ط،دار القصبة للنشر،الجزائر،2013.

12-بن داهة عدة،الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962،ج1،ط 1،المؤلفات للنشر و التوزيع،الجزائر،2013.

13-بن داهة عدة،الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962،ج 2،ط 1،المؤلفات للنشر و التوزيع،الجزائر،2013.

14-بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية و لغاية 1962،ط 1،دار الغرب الإسلامي.

15-بوخاوش سعيد،الاستعمار الفرنسي و سياسة الفرنسية في الجزائر،د ط،دار تفتيلت للنشر.

16-بوعزة بوضرساية،سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930و انعكاساتها على المغرب العربي،دار الحكمة،الجزائر، 2010.

17-بوعزيز يحي،سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830-1954 ويليه السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954،دار البصائر للنشر و التوزيع،2009.

18-بوعزيز يحي،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب،ج 1،د ط،دار الهدى للنشر و التوزيع،الجزائر،2009.

19-تومي صديق،المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية نتائج وأبعاد ثورة المقراني و الحداد،د ط،دار الأمة،الجزائر،2010.

20-جوليان شارل أندري،تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو و بدايات الاستعمار 1827-1871،تر جمال فاطمي،المجلد 1،ط 1،دار الأمة،2008.

21-الجيلالي عبد الرحمان بن محمد،تاريخ الجزائر العام،ج 3،د ط،دار الأمة،الجزائر،2010.

22-حمداني عمار ،حقيقة غزو الجزائر ،تر لحسن زغدار،منشورات ثالة، الجزائر،2007.
23-خرشي جمال،الاستعمار و سياسة الاستيعاب و الإدماج في الجزائر 1830-1962،دار القصبة للنشر،الجزائر،2009.
24-زوزو عبد الحميد،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900،دار موفم للنشر ،الجزائر،2010.
25-سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954،ج 6،دار البصائر للنشر و التوزيع ،الجزائر،2007.
26-سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج 2،دار البصائر،الجزائر،2007.
27-سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج 5،دار البصائر للنشر و التوزيع،الجزائر،2007.
28-سعد الله أبو القاسم،الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900،ج 1،ط 1،دار الغرب الاسلامي ،لبنان،1992.
29-سعد الله أبو القاسم،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1982.
30-سعيدوني ناصر الدين ،عصر الأمير عبد القادرالجزائري،د ط،مكتبة الاسكندرية،2000.
31-سعيدوني ناصر الدين،الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية،ط 2،عالم المعرفة للنشر و التوزيع،الجزائر،2008.
32-سلاماني عبد القادر،الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة1832-1974،دط،دار قرطبة للنشر و التوزيع،الجزائر،2012.
33-سي مانسفيلد هارفي ،توكفيل مقدمة قصيرة جدا،تر مصطفى محمد فؤاد،ط 1،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة،القاهرة،2012.
34-الصديق محمد صالح،الجزائر بلد التحدي و الصمود،د ط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2007.

35-الصديق محمد صالح،كيف ننسى و هذه جرائمهم،دار هومة للطبع،الجزائر،2009.
36-الطيبي محمد،الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنيات و البنياتو المآلات،ط 1،ابن النديم للنشر و التوزيع،الجزائر،2009.
37-العسلي بسام،المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830-1838،دار الرائد ،الجزائر،2010.
38-العسلي بسام،محمد المقراني و ثورة 1871 الجزائرية،دار الرائد ،الجزائر،2010.
39-العلوي محمد الطيب،مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954،ط 3،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر.
40-عمورة عمار،موجز تاريخ الجزائر،ط 1،دار ريحانة للنشر و التوزيع،الجزائر،2002.
41-عوض صالح ،معركة الاسلام و الصليبية في الجزائر،د ط،الزيتون للاعلام والنشر،الجزائر.
42-غرانميزون أوليفيي لوكور،الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب و الدولة الاستعمارية،تر نورة بوزيدة ،د ط،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2008.
43-غرانميزون أوليفيي لوكور،الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية،تر مسعود حاج مسعود،د ط ،دار القصبة للنشر ،الجزائر،2009.
44-فركوس صالح،إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر،ط 1،البصائر الجديدة للنشر و التوزيع،الجزائر،2013.
45-قداش محفوظ،جزائر الجزائريون تاريخ الجزائر 1830-1954،تر محمد معراج،د ط،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار،الجزائر،2008.
46-كاشه الفرحي بشير،مختصر وقائع و أحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962.
مجاهد مسعود،تاريخ الجزائر،ج 1،د ط،1971.
47-المدني أحمد توفيق،هذه هي الجزائر،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،2001.
48-المقرحي ميلاد،تاريخ أوربا الحديث 1453-1848،ط 1،دار الكتاب الوطنية،بنغازي،1996.

49-منور العربي،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر،دار المعرفة،الجزائر،2006.
50-موساوي القشاعي فلة،الواقع الصحي والسكانيفي الجزائر أثناء العهد العثماني أوائل الاحتلال الفرنسي1518-1871،وزارة الثقافة،الجزائر،2013.
51-
52-مياسي إبراهيم،مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر،2007.
53-نايت بلقاسم مولود قاسم،شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830،ج1،ط 1،دار البعث ،قسنطينة،1985.

المراجع بالفرنسية :

1-Belkoudja Amar,Barbarie coloniale en Afrique préface de Djilali Sari,Edition ANEP.
2-Boualem Nedjadi , Les Tortionnaire 1830-1962,Edition ANEP,Alger,2010.
3-François Maspero ,L'Honneur de Saint Arnaud ,Casbah Edition ,2004.
4-Julien Charles Andrés,Histoire de L'Algerie contemporaine la conquete et les debuts de la colonisation 1827-1871,Csbah Edition,Alger,2005.

الرسائل الجامعية:

1-بن نيفة سليمة و جرادنية مسعودة،الاستيطان و التوزيع الجغرافي للمستوطنين في الجزائر خلال فترة الاحتلال 1830-1870،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف مناد يعيش،جامعة المدية،2016/2015.
2-بوجناح دليلة،الفكر الاستعماري الفرنسي و تطوره خلال القرن 19ممن خلال النظريات و الممارسات،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث ،إشراف الغالي غربي،الجزائر،2011/2010.

3-بوزار أمينة و لسلوس سميرة،جرائم الإبادة الفرنسية في الجزائر (1830-1962)،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف بنن الشيخ حكيم،جامعة المدية،2016/2015.

4-تلمساني بن يوسف، التوسع الفرنسي في الجزائر1830-1870،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،إشراف يوسف مناصرية،جامعة الجزائر،2005/2004.

5-حرشوش كريمة،جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832-1847،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر،إشراف صم منولر،جامعة وهران.

6-حماش خليفة،الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتورا دولة في التاريخ الحديث،إشراف فاطمة الزهراء قشي،2006.

7-شبيرة صبرينة،حضر مدينة الجزائر و موقفهم من الاحتلال الفرنسي 1830-1848،إشراف ميسوم بلقاسم،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،جامعة بسكرة،2014/2013.

8-شويتام ارزقي،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519-1830،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في التاريخ الحديث و المعاصر،إشراف عمار بن خروف،2006/2005.

9-الطيب مختار ،اللجنة الإفريقية 1833-1834،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ،إشراف بوعزة بوضرساية،جامعة الجزائر،2010/2009.

10-علامة صليحة ،الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ،إشراف ناصر الدين سعيدوني،جامعة الجزائر،2001/2000.

11-غطاس عائشة،الحرف و الحلرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية،أطروحة لنيل شهادة دكتورا دولة في التاريخ الحديث ،ج 1،إشراف مولاي بلحميسي 2001/2000.

12-مرزاقة عاشور،جرائم فرنسا في الجزائر-الإبادة الجماعية أنموذجا-1830-1849،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،إشراف العقبي الأزهر،جامعة بسكرة،2014/2013.

13-معلوف بوهردة ،الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في القانون،إشراف مباركي علي،جامعة الجزائر،2012.

14-نسمة حسين ،المسؤولية الدولية الجنائية،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في القانون و القضاء الدوليين النائين،إشراف حليلو فيصل ،جامعة قسنطينة،2007/2006.

15-الوالي حجيلة ومشيخ مريم ،الفكر الاستعماري الفرنسي في الجزائر و شخصية ألكسي دو تو كفيل أنمودجا،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر،إشراف كريم مقنوش،جامعة المدية،2016/2015.

المجلات :

1-تركي رابح ،ابن باديس و الشخصية الجزائرية ،مجلة الأصالة ،العدد1،مارس 1971.

2-المشهداني مؤيد محمود و م م سلوان رشيد رمضان،أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830،مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية،م 5، ع16 ،2013.

3-فكار عثمان ،الاستيطان العمراني في الريف الجزائري مقاربة سوسيو تاريخية،مجلة جامعة دمشق ،المجلد 29 العدد 3-4 ،2013.

4-فرحات بن دراجي ،في سبيل الإسلام و العروبة و العلم ،مجلة الشهاب، ج 10،المجلد13.

5-حمير صالح ،السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر بداية الاحتلال 1830-1840،مجلة كان التاريخية ،العدد 22 ،ديسمبر 2013.

6-ا-م زياد ربيع،جرائم الإبادة الجماعية،دراسات دولية،العدد59.

7-التميمي عبد الجليل ،المجلة التاريخية المغربية ،العدد 1 ،مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ،جانفي 1974.

الملتقيات :

-1طرشون نادية ،التطور التاريخي للمنظومة القانونية القمعية الفرنسية خلال القرن 19م ،ملتقى دولي حول الممارسات القمعية و السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1962 التعذيب نموذجا ،4-5 ماي 2015.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر و عرفان.

الإهداء.

المقدمة .....

مبحث تمهيدي.....5-10.

1.**التعريف بالكاتب**..... **5.**

2.التعريف بالكاتب ....**5.**

1.2-محتوى الكتاب .....6-9.

2.2-أهمية الكتاب .....9.

3.2-ملاحظات حول الكتاب .....9.

4.2-اهم الدراسات السابقة لهذا الكتاب .....10.

المبحث الأول :الفكر الاستعماري في السياسة الفرنسية في الجزائر .

1. اوضاع الجزائر عشية الاحتلال .....**11-20.**

1.1 –الوضع السياسي .....11-15.

2.1-الوضع الاقتصادي ..... 15-17.

3.1-الوضع الاجتماعي .....17-20.

2.التعبئة للحملة .....**21-25.**

1.2-العلاقات الجزائرية الفرنسية قبيل 1830.....21 .

2.2-مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر بوتان نموذجا.....21-22.

3.2-خلفيات الاحتلال .....22-23.

4.2-الحملة الفرنسية 1830 .....24-25.

3.الفكر الاستعماري لألكسي دو توكفيل .....26-30.

1.3-انجازاته .....27.

2.3-نظرة دو توكفيل الاستعمارية إلى الجزائر .....28.

3.3-النصوص التي كتبها الكسي دو توكفيل عن الجزائر .....29-30.

المبحث الثاني :الممارسات السياسة و العسكرية و أساليبها .

1. التنظيم الاداري.....31-41.

1.1-الحكم العسكري.....31-37

2.1-الحكم المدني..... .....37-41.

2.الجرائم الفردية ....42-48.

3.الإبادة الجماعية.....49-58.

المبحث الثالث : الممارسات الاقتصادية و الاجتماعية .

1-السياسة الاستيطانية .....59-65.

1.1-أشكال الاستيطان .....61-64.

1-الاستيطان الرسمي .....61-62.

2-الاستيطان الحر "التلقائي" .....62-64.

2.1- أهداف السياسة الاستيطانية .....64-65.

2-مصادرة الاراضي .....66-73.

3-تأثير الاستعمار .....74-78.

1.3-انتشار الفقر .....74.

2.3-التهجير .....75-76.

3.3-اختلال التوازن السكاني .....77-78.

الخاتمة.....79-80.

الملاحق .....81-87.

قائمة المصادر و المراجع .....

فهرس الموضوعات .....